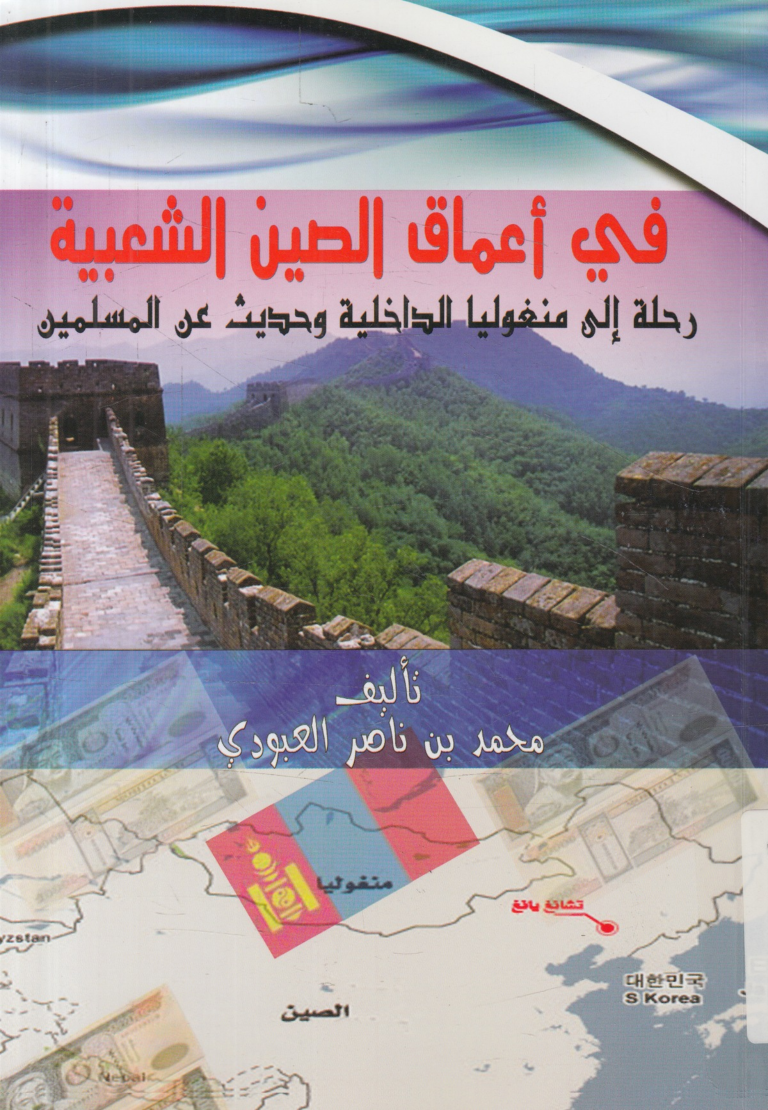


في أعماق الصين الشعبية
رحلة إلى منغوليا الداخلية وحديث عن المسلمين
تأليف
محمد بن ناصر العبودي
منغوليا
تشانغ يانغ
대한민국
S Korea
الصين

إهــــــــداء ٢٠١١

معالى الشيخ محمد بن ناصر العبودى

المملكة العربية السعودية

الرحلات الصينية

في أعماق الصين الشعبية

رحلة إلى منغوليا الداخلية وحديث عن المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

في اعماق الصين الشعبية / محمد بن ناصر العبودي

- الرياض ، ١٤٣١هـ

١٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢-٩-٤٥٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الصين - وصف ورحلات ٢- الإسلام - الصين

أ- العنوان

ديوي ٩١٥,١٠٤ ١٤٣١/٢١١١

رقم الايــداع: ١٤٣١/٢١١١

ردمك: ٢-٩-٤٥٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجّارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرنشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبيا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلى في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبعته مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهوريات القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) حصاد الرحلات، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٩) رحلات ونظرات حول المسلمين في العالم، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٢٠) قول أوفى، في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(١٢١) في أعماق الصين الشعبية، رحلة إلى منغوليا الداخلية وحديث عن المسليمن (الرحلات الصينية)، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعات في غير فن الرحلات

(١٢٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٣) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٥) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٦) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٧) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي. ثم طبعته دار الثلوثية طبعة ثانية في عام ١٤٣١هـ.

(١٢٨) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٩) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٠) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٢) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام

على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٦) وجهة نظر، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٣٧) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٣٨) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٣٩) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٠) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤١) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٢) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٣) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٤) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٥) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤٦) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٧) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٤٨) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٤٩) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٠) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥١) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١٥٢) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٣) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٤) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٥) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٦) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٥٧) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٥٨) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ

(١٥٩) أخبار الملا ابن سيف نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

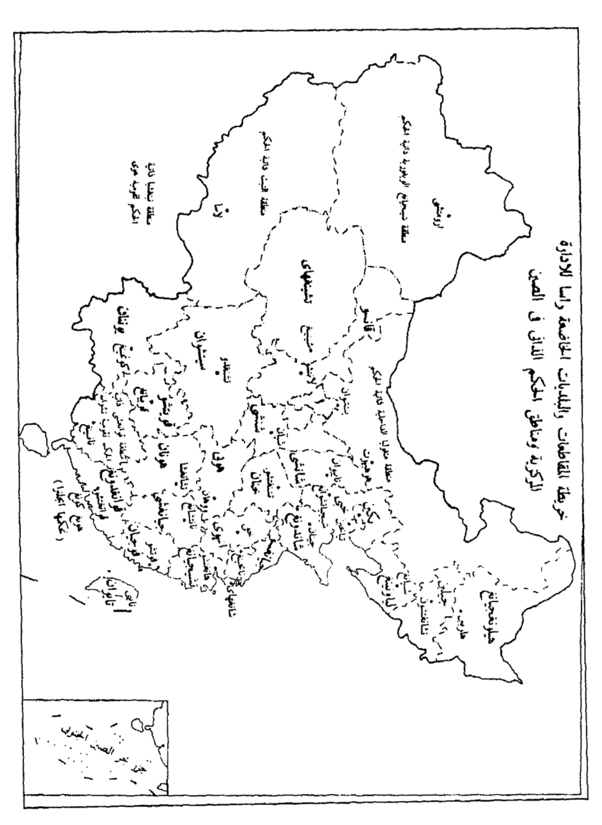
(١٦٠) أخبار قني نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١٦١) أخبار مطوع اللسيب نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١٦٢) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١٦٣) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

إلى منغوليا الداخلية



خريطة المقاطعات والبلديات الخاضعة رأساً

للإدارة المركزية ومناطق الحكم الذاتي في الصين

مقاطعة منغوليا الداخلية:

مقاطعة منغوليا الداخلية من المناطق المهمة في الصين، لكونها غنية بالمعادن والمراعي التي تربى عليها ملايين الأغنام، وكذلك ترعاها رعايا الإبل، وهي إلى ذلك على حدود جمهورية شقيقة لها هي (منغوليا) الخارجية المستقلة، وفي جمهورية منغوليا الداخلية أقلية عددية مسلمة، قديمة الوجود فيها.

وقد طلبت من مضيفينا الصينيين زيارتها لأنها كذلك، ولأنها البلاد التي انطلق منها المغول، تلك الأمة التي كانت عند انطلاقها بربرية همجية، تهدم المدن وتحرق الكتب وتدمر المدارس وتنشر الفزع في نفوس الناس أينما حلت، بل قبل أن تحل.

وسوف يأتي ذكر لأحوال هذه المقاطعة في شيء من التفصيل، ولكن الشيء المهم الذي أردت إيضاحه هنا هو اختلاف الاسم بين ما نعرفه مما ورثناه عن أسلافنا من المؤرخين العرب وبين ما هو عليه في بلاد المغول الأصيلة هذه، التي ستتجه إليها رحلتنا بعد قليل بإذن الله.

فنحن نسميهم (مغول) بغين مضمومة بعد ميم مفتوحة، وهم يسمون أنفسهم (منغول) بزيادة نون ساكنة بين الميم والغين.

ولاشك في أنهم أعرف بالاسم الصحيح لبلادهم ولجنسهم، وحتى لو لم يكونوا أعرف بذلك فإن الاسم الصحيح للأمة أو القبيل من الناس يكون ما يسمون به أنفسهم ولو خالفهم الآخرون.

وعلى هذا جاء الاسم الرسمي لهذه المقاطعة (منغوليا) الداخلية ولشقيقتها المستقلة التي تجاورها (منغوليا) الخارجية، فأسلافنا حذفوا الميم من الاسم

ربما كان ذلك من فرط الفزع من هؤلاء القوم المتوحشين القساة جعلهم ذلك لا يفكرون في الاسم، وربما كان القوم يسمون أنفسهم (منغول) ولكنهم لا ينطقون بالنون نطقا واضحا هنا كما ننطق بها نحن العرب فظنها الأسلاف غُنّة أو تنوينا خفيفا، وما أبعد الغنة من لغة الهمجيين القتلة.

ومما يؤكد أن النون أصيلة في الاسم غير كونهم يسمون به أنفسهم أن أهل الصين يثبتون هذه النون.

وهم الذين خبروا هؤلاء المغول من وجودهم في بلادهم، و من تعرض بلادهم لغزواتهم حتى إنهم أي المغول كانوا استولوا على معظم الصين في وقت من الأوقات، واتخذوا مدينة بكين الحالية عاصمة لهم، واسموها (خان بالق) بمعنى مدينة الملك، فخان في اللغة المغولية تعني مِلِكاً أو ملكاً كبيراً، وبالق تعني المدينة أو المقر.

ومن أجل صد هجمات هؤلاء المغول وأبناء عمهم من القبائل الصحراوية الهمجية أقام الصينيون على فترات متباعدة سور الصين العظيم، ليكون سدً منيعا بينهم وبين غارات هؤلاء الصحراويين الأشداء على أكثر الأقوال.

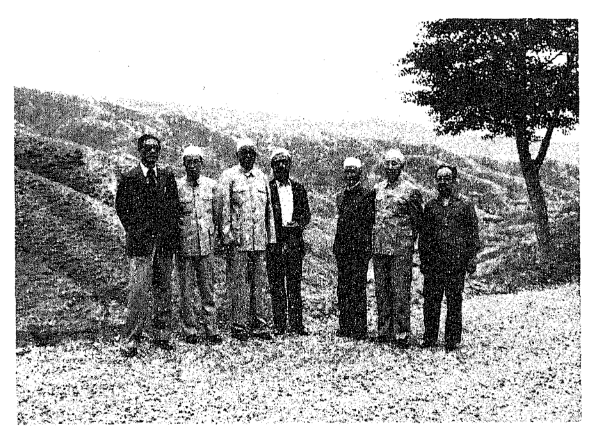
وإذاً يكون الصينيون يعرفون المغول معرفة حقيقية، وبالتالي يعرفون اسمهم الصحيح وهم يثبتون النون فيه، ولكنهم ينطقون به على طريقتهم في تحويل الكلمات إلى مقاطع كل واحد منها يتألف من حرفين أولهما متحرك وآخرهما ساكن، فقالوا، (منقو) بتقليد كتابتهم وإن يكن ذلك بالرسم العربي يصح أن يكتب الاسم (مَنْ قو) بمقطعين اثنين منفصلين، تماماً مثلما ينطق الصينيون اسم بلادهم الصين بلفظ (شنْقو) الذي هو مقطعان (شنْ قو) وهو اسم بعيد عن اللفظ العربي للصين، واللفظ العربي هو الذي بعد عنه لأن الأصل في التسمية الصينية (شن قو) للصين هي الصحيحة.

وأقرب اللغات الحية البعيدة عن الصين التي أعرف اسم الصين فيها هي الفرنسية، إذْ يقول الفرنسيون للصين (شِيْوا) وبالمقاطع (شِنْ وا) على الأصل.

وعلى هذا تكون النون في (منغوليا) أصيلة ونكون نحن العرب حذفناها من اسمهم المنغول فصرنا نسميهم (المغول).

معلومات عن منغوليا الداخلية:

بلاد منغوليا شبه صحراوية تقع على أطراف صحراء غوبي الشهيرة شحيحة المطر، مناخها قاري، لأنها بلاد داخلية، وتعرف بمنغوليا الداخلية تمييزاً لها عن منغوليا الخارجية التي تقوم فيها حالياً جمهورية منغوليا المستقلة.



المؤلف مع الرفقة تحت جبل دان شن بمنغوليا الداخلية

ومنغوليا الداخلية التي أصبحت مقاطعة ذات حكم ذاتي منذ غرة مايو ١٩٤٧هـ تبلغ مساحتها ١,٢٠٠,٠٠٠كم٢، و يبلغ سكانها ١٩,٢٧٤,٢٧٩

نسمة بموجب إحصاء عام ١٩٨٢، منهم ٢٨٥,٠٠٠ مغولي أي بنسبة ١٩% من إجمالي سكان المقاطعة وباقي السكان هم من المهجرين الصينيين الذين هاجروا إليها بعد الثورة الشيوعية فقد بلغ توطين الصينيين في عام ١٩٦٠م نسبة ١٢ إلى و احد، ويقدر عدد المغول في الصين كلها بحوالي ٣,٤١١,٣٦٧ نسمة.

ويمارس معظم المغول الرعي ويسكنون البراري والمراعي بينما المهجَّرون الصينيون يقطنون المدن كما هو الحال في العاصمة خوخا خوت حيث يؤلف الصينيون ٨٠% من سكانها.

المسلمون في منغوليا الداخلية:

يقدر عدد المسلمين في منغوليا الداخلية ١٧٠ ألف مسلم، ويتركز أكثرهم في العاصمة ومنطقة كوبال.. ومن القبائل المغولية المسلمة قبيلة دونغ شيانغ وعددهم ٢٧٩,٥٢٣ مسلماً وقبيلة بوان وعددهم ٩,٠١٧ مسلماً، وأفراد هاتين القبيلتين المسلمتين يتمركز معظمهم في مقاطعتي كانصو، وتشنغ هاي ولا يعتبرهم التصنيف الصيني مغوليين أصلاء بسبب إسلامهم، ولكونهم لهم مواطنون خارج منغوليا هذه.

وبقية الحديث عن المسلمين والمساجد في داخل الكتاب.

كان المغول بقيادة جنكيز خان قد ظهروا قوة سياسية وعسكرية مدمرة في آخر القرن السادس الهجري، وتعرضت الدول الإسلامية والآسيوية لغزواتهم البربرية وتمكن جنكيز خان من فرض سيطرته على تركستان وإيران وشمال الصين.

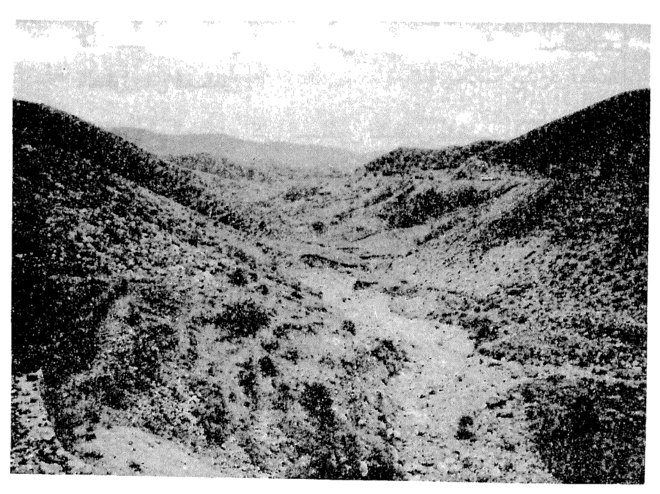
ثم قبيل موته قسم ممالكه بين أبنائه الأربعة وهم جوجي وجغتاي واوكتاي وتولوي، كما جعل ابنه أوكتاي ولياً للعهد الذي أصبح خاقاناً أي

خاناً أعظم للمغول خلفاً لوالده جنكيز خان في ربيع سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.

وخلال حكم أبناء وأحفاد جنكيز خان نشطت الغزوات المغولية في آسيا واحتلوا جزءاً من العالم العربي على رأسه بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك.

ثم استمروا يريدون فتح مصر، فتصدى لهم المصريون بقيادة الأمير قطز في موقعة عين جالوت في رمضان ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وهزموهم.

ثم أسس باتو بن جوجي بن جنكيز خان إمبراطورية ألتون اورده في الأراضي التي يتكون منها الاتحاد السوفيتي وجنوبه اليوم، واستمر حكم هذه الدولة التي اعتنق مؤسسها وحكامه الإسلام أكثر من قرنين من ١٢٢٦ إلى ١٤٦٦هم.



الوديان الجافة بين الجبال في منغوليا

المغول في الصين:

أسس قوبيلاي خان بن تولوي بن جنكيز خان أسرة يوان الحاكمة في الصين فيما بين ١٢٧٧-١٣٦٨م، وأثناء الحكم المغولي توطد الوجود الإسلامي في الصين بسبب كثرة المسلمين الوافدين إليها، وتولى بعضهم مناصب قيادية عليا في حكومة المغول في الصين فمثلاً كان منهم في وقت من الأوقات:

١- أربعة مساعدين وأحد عشر مستشاراً سياسياً من المسلمين لرئيس الوزراء.

٢- ١٤ مديراً عاماً و١٤ رئيس شعبة في سكرتارية البلاط المركزي، و ٩ موظفي في الجناح الأيمن، و٥ موظفين في الجناح الأيسر من القصر.

٣- مناصب الكتاب في كل إدارة من إدارات الوزارات الست لحكومة المغول من المسلمين.

٤- في المجال العسكري كان المسلمون يشغلون منصب داروغة خوجه يعني قائد عشرة آلاف جندي ونائب قائد ومستشار عسكري ومدعي عام ومفتش عام.

٥- كانت الصين في الحكم المغولي مقسمة إلى ١٢ ولاية، وكان على ثمانية منها حكام مسلمون.

وفي العهد المغولي انتشر الإسلام في مقاطعات غرب الصين مثل كان سو وسي شوان وتشنغ هاي ويونان وشان شي وختان التي كانت تحت ولاية حكام مسلمين من أمثال الشيخ شمس الدين عمر وأبناء محمود يلواج.

بالإضافة إلى انتشار الإسلام في الصين في العهد المغولي فإن الحضارة الإسلامية أثرت تأثيراً كبيراً في الصينيين وثقافتهم، فقد أوجدت مؤسسات الهيئة الفلكية والمستشفيات والمعاهد العلمية تحت إشراف الأخصائيين

المسلمين وإدارتهم علاوة على أن القصر المغولي في بكين وحدائق بحيرة الشمال كانت من تصاميم مهندس مسلم يسمى مختار.

وكذلك أسس المغول كليتين إسلاميتين للطب والمعالجة، إحداهما في تادو قرب بكين والأخرى في شاندو ، و هي مدينة كاي ينغ في ولاية جهار اليوم.

وكان للمغول فضل لا ينكر في انتشار وازدهار الإسلام والمسلمين في الصين، لا تزال أثار ذلك ملموسة في الفكر والثقافة الصينية والكيان السكاني.

وحينما زال الحكم المغولي من الصين عام ١٣٦٨م أجبر المسلمون على تغيير مظاهرهم وعاداتهم الاجتماعية المستمدة من الإسلام، و تغيرت أسماؤهم الإسلامية إلى أسماء صينية، كما نجد اليوم للمسلم الصيني اسمين أحدهما عربي إسلامي يتداولونه بين أفراد المسلمين وبخاصة في داخل الأسرة، واسم صيني يستعمل في الجهات الرسمية وفي المجتمع.

بعد الحكم المغولي في الصين:

زال حكم المغول بقيام أسرة مينغ Ming الصينية في الصين عام ١٣٦٨م وظهرت للمغول دولتان في بلادهم منغوليا و هما دولة المغول الشرقية ودولة المغول الغربية، وعمل الصينيون على تذكية الخلافات بينهما خوفاً من عودة سيطرة المغول على الصين.

ولما تمكن سي وانغ ارابتان ملك دولة المغول الغربية من توحيد كثير من القبائل المغولية تحت رايته بعد وفاة لهابزان خان ملك دولة المغول الشرقية عام ١٧٠٥م، وحظي بتأييد ديني من دالاي لاما ملك التبت الروحي، وصار المغول مرة ثانية قوة تهدد الصين، تقدم الصينيون بجيوشهم للانقضاض عليهم ومنيت دولة المغول الغربية بالهزيمة عام

١٧٥٧م، وسيطر الصينيون على المغول وبلادهم (منغوليا).

وقد ثار المغول ضد السيطرة الصينية مئات المرات خاصة في أوائل القرن العشرين، واستطاع زعماء المغول في منغوليا الخارجية كسب تأييد الروس لاستقلالهم وتم توقيع معاهد ثلاثية بين الصين وروسيا ومنغوليا الخارجية عام ١٩١٥م تضمنت حق منغوليا الخارجية بحكم ذاتي تحت إشراف الصين، وفي معاهدة يالتا التي تمت بين الرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس السوفيتي ستالين في فبراير ١٩٤٥م تقرر الاعتراف بجمهورية منغوليا الشعبية المستقلة واضطرت الصين للاعتراف بها أيضاً.

وحاول اليابانيون خلال غزوهم لبلاد الصين في الحرب العالمية الثانية إقامة دولة تابعة لهم في منغوليا الداخلية عرفت باسم منغ جيانغ (Meng Chiang) أو بحكومة منغوليا الداخلية الذاتية برئاسة الأمير ته (Te) ولكن هزيمة اليابان أعادت سيطرة الصين على منغوليا الداخلية، وفشلت محاولة المغول تأسيس حكومة منغوليا الداخلية المستقلة برئاسة الأمير ته (Te) عام ١٩٤٩م.

السفر إلى منغوليا الداخلية:

لا يبعد مطار بكين عن قلب العاصمة كثيراً، إذْ لا أظن ذلك يزيد عن أربعين كليومتراً، ولكن المشكلة في الوصول إليه هو في الشوارع المؤدية له، فهي في داخل المدينة كثيرة الإشارات الضوئية أو كثيرة الشرطة الذين ينظمون مرور السيارات على قلتها النسبية في الصين.

وإنما الذي يجعل الوصول إلى المطار يتأخر هو الهدوء في السير الذي هو طابع الحياة في الصين سواء أكان ذلك سير السيارات أم سير

الدراجات، وحتى المشاة لا تراهم يسرعون كما يسرع المشاة في شوارع أوروبا التي إذا رايتهم يسيرون على أقدامهم فيها خيل إليك أنهم في سباق.

وبالنسبة لنا نحن فإن هناك سبباً آخر لتأخرنا في الوصول إلى المطار وهو أننا أعددنا أمتعتنا في الوقت المناسب وهي كثيرة وثقيلة، إذْ فيها هدايا من المصاحف والكتب والعبي- جمع عباءة- وغير ذلك إلى جانب أمتعتنا الشخصية، والهدايا التي تلقيناها من مضيفينا الصينيين في بكين.

ولكن الحمالين أو لنقل الفراشين في فندق (شي يوان شي) الذي كنا نسكن فيه في بيكن قد أبطأوا علينا عندما ناداهم لنا مضيفونا الإخوة الصينيون.

وهو بطء زاد عن حده حتى خفنا أن تفوتنا الطائرة لأننا نعرف بعد مطار بكين عن فندقنا والوقت الذي يستغرقه الوصول إليه.

ولم نفعل شيئاً عند الخروج من هذا الفندق في بكين الذي قضينا فيه أربع ليالٍ حتى ولا التوقيع على الأوراق، لأن مضيفينا الصينيين قد كفونا ذلك كله. واعتبرونا ضيوفاً عليهم، وإلاّ فإننا اعتبرنا الفندق غالي السعر بالنسبة إلى مستوى الأسعار العالمية، إذْ الغرفة التي أنا فيها تتألف من قاعة استقبال ومن جزء مرتفع منفصل قليلاً عنها وأجرتها هي (٤١٢) يناً، ويعادل ذلك بالصرف الرسمي حوالي ١٢٠ دولاراً أمريكياً ولا يقبلون دفع الأجرة ولا تناول أي شيء ولو قليلاً من مطاعم الفندق أو مشاربه إلا بالعملة الأجنبية الصعبة.

وذلك مع رخص الأجور بحيث إن أجرة الموظف الذي وكل إليه إدارة الطابق الذي نحن فيه من الفندق لا تصل إلى نصف هذا المبلغ في الشهر الواحد.

وأخيراً جاء الحمالون بعرباتهم وحملوا الأمتعة بتباطأ وعدم مبالاة بوقتنا مثلما كانت تفعل عاملات المطعم اللاتي لم يكن يبالين بوقت الآكلين

في المطعم في الصباح وهم عادة يكونون من رجال المال والأعمال التي تتطلب المحافظة على الوقت.

وذلك كله ناشئ عن قلة الحوافز الشخصية عندهم في العمل، لأن العامل يعتبر أن الدولة هي دولته وأنه هو الذي يسير الأمور فيها- وهو بعد ذلك وقبله- سيتقاضى الراتب الضئيل المقرر له دون نقص أو زيادة، فلم العجلة إذاً؟

مقارنة في شوارع بكين:

غادرنا الفندق في الثانية ظهراً وقد بقي على قيام الطائرة ساعة وخمس وعشرون دقيقة، إذ المقرر أن تقوم من بكين إلى (خوخاخوت) عاصمة مقاطعة منغوليا الداخلية في الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين، والمسافة ما بين الفندق والمطار تبلغ في المعتاد ساعة واحدة، لذلك أشفقنا من أن تفوتنا الطائرة وهذا- إن حدث- سيؤثر على برنامج رحلتنا كلها في الصين لأننا كنا حددنا مواعيد الرحلات بعدها، وحجزنا فيها.

وكنت وأنا في السيارة أقارن بين ما أراه الآن في شوارع بكين، و ما كنت أراه فيها عندما كنت أزورها قبل ما يزيد على ثلاث سنوات، لأرى ما فعلته السنوات الثلاث فيها وفي أهلها، لأنها كانت منذ ما قبل الزيارة الأولى قد اختطت لنفسها خطة انفتاح على العالم، وما أسمته الازدهار الاقتصادي في الداخل.

فأجد فيما يتعلق بالناس الذين في الشوارع أن هناك تطوراً قد حصل بالفعل، أهمه ظاهر في ملابس الناس فالرجال الذين كان لباسهم موحداً بأمر الحكومة التي كان يوجهها زعيم الشيوعية الصينية الهالك (ماوتسي تونغ) ثم بحكم العادة بعد ذلك وهو أشبه ما يكون بالبدلة السفرية التي تسمى (سفاري)

إذْ يتألف من قميص واسع ذي كمين طويلين ومن سروال معتاد، إلا أنه أوسع قليلاً من السروال الإفرنجي المعروف، وأقل أناقة منه في التفصيل.

وهذا اللباس نفسه لا يبعد كثيراً عن اللباس الذي كانت ترتديه النساء، والذي كان أبعد ما يكون عن الأناقة وابتغاء الجمال في اللباس للجمال نفسه، وهو أيضاً أبعد ما يكون عن ابتغاء الإغراء والفتنة بمظاهر النساء، فالثورة الشيوعية الصينية حاربت ذلك، ووجدت في التقاليد الصينية العريقة التي تمقت الميوعة، أو التخلي عن العادات الموروثة ما يساعدها على تحقيق ذلك الذي تحقق فعلاً بسبب القوة الباطشة.

ولم تكن مساحيق الزينة ظاهرة على النساء، لأنها كانت حرمت إبان الثورة الثقافية الشيوعية، وهي عند زيارتنا السابقة للصين لم تعد محرمة ولكن كانت النساء لا يستعملنها جرياً على عادة التحريم السابقة.

وكانت ملابس الرجال جميعهم تبدو كأنما هي نسخة واحدة لأنها مصنوعة من مصانع وطنية تتلقى تعليمات من القيادة أن تكون كذلك، ولا تسمح بتنويع الملابس ولم يكن هناك مجال للحصول على ملابس غيرها للصينيين، لأن البلاد كانت مغلقة محكمة الإغلاق ولأن من يحاول أن يفعل ذلك قد يرمى بأنه يعمل على مخالفة قوانين الدولة الثورية وبذلك سيتعرض للشك في ولائه وربما تعرض للعقاب.

والقول في ملابس النساء في ذلك الحين ليس بعيداً عن القول في ملابس الرجال.

أما الآن فإن الأمر قد تغير كلياً فيما يتعلق بملابس النساء فأصبحت الملابس الملونة هي السائدة وبعضها ذوات ألوان فاقعة طبقاً للذوق الصيني الذي يفضل الألوان الصارخة.

ولـم يقتـصر الأمـر عنـد حـد اختـلاف الألـوان، بـل تعـدى ذلـك إلـى التفصيل، فصارت ملابس النساء أضيق، وإذا لم تكن ضيقة فإن ابتغاء الذوق والإغراء فيها قد صار منتشراً.

والشيء غير المستساغ أنه في الوقت الذي كانت فيه الملابس العالمية التي تصدرها أوروبا تجنح إلى تطويل ثياب المرأة قد جنحت المرأة الصينية إلى تقصيرها، وربما كان هذا شعوراً منها بأنها تعوض به ما كان فاتها من متابعة الأزياء العالمية التي كانت قصيرة عندما كانت الملابس الصينية الطويلة السابغة هي المسموح بها للمرأة الصينية.

وقد صارت المرأة الصينية وبخاصة الشابات منهن وأكثر من يراه الإنسان في شوارع بكين هن من الشابات أو المتوسطات في العمر، وقلما يرى العجائز خلاف ما عليه الحال في المدن الأوروبية، قد أخذت تتوخى الأناقة في مجموع هندامها، وليس في الثوب وحده، فالقبعة العريضة الأنيقة التي كانت مشهورة في الصين قد عادت إلى الظهور، والمظلة الملونة الواقية من الشمس أو المطر قد عادت أيضاً.

والأحزمة التي يقصد بها الزينة واستكمال المظهر الجمالي قد كثرت أيضاً، وحتى الأحذية ذات الكعوب العالية قد كثرت بعد أن كانت معدومة في الصين.

كما وجدت المساحيق على وجوه النساء، وإن كانت لا تزال أقل مما هو موجود في المدن العالمية حتى التي يسكنها الصينيون في المهاجر مثل سنغافورة وتايبيه وهونغ كونغ.

ولاشك في أن السبب في ذلك هو عدم استكمال التعود عليها بعد الهجران الطويل لها من جهة وضعف الدخول المالية الشهرية عند النساء في الصين.

ومن مظاهر التغير في الصين كثرة مشاهدة الأجانب من ذوي المظهر الأوروبي أو الذي يقربون منهم في اللون أو تقاسيم الوجوه كالعرب، مما يدل على أن الانفتاح الذي كانت الصين- ولا تزال- تعلن عنه هو انفتاح حقيقي.

ويتجلى هذا أيضاً في كثرة إنشاء الفنادق الجديدة على الطراز الحديث، ومع ذلك فإن كل تلك الفنادق تكون في العادة مشغولة أو محجوزة.

والشيء الذي لم يختلف كثيراً في شوارع بكين وإن كان حصل فيه اختلاف نسبي هو قلة السيارات التي تسير في الشوارع قلة نسبية، وكثرة الدراجات كثرة حقيقية.

وقد سلك موكبنا المؤلف من ثلاث سيارات شوارع واسعة جيدة من شوارع مدينة بكين الحديثة ووصف الحداثة هو للشوارع، وليس للمدينة فقد وجدناهم غيروا الأمر كله في بعض الضواحي القديمة الكئيبة من بكين التي كانت ذات بيوت قديمة متطامنة من طابق واحد، ومهملة من الصيانة، فهدموها وأقاموا في جزء من منطقتها (عمارات) سكنية عالية تضم شققاً سكنية وحسنوا ما بين تلك العمارات وشقوا فيها الشوارع، أووصلوا بها الشوارع القريبة التي كانت متجهة إليها.

ثم قسموا هذه الشوارع الجديدة إلى التقسيم الذي اختاروه، وهو أن يجعلوا وسط الشارع مخصصاً للسيارات وهو واحد مفصول ما بين السيارات الذاهبة فيه والآيبة بخط أبيض، ولا يكون الشارع منقسماً إلى قسمين منفصلين تماماً، أحدهما للسيارات الذاهبة والآخر للآيبة كما نعمل نحن في شوارعنا الحديثة، وكما هو المألوف في الشوارع الجديدة في المدن العالمية.

وذلك لقلة السيارات عندهم قلة نسبية كما قدمت، وإنما يعتنون بفصل الدراجات الذاهبة عن الدراجات الآيبة فصلاً كلياً، فيجعلون إلى جانب خط السيارات من قبل الشارع خطاً واسعاً مخصصاً لسير الدراجات لا يجوز أن تسير فيه السيارات بحال مع اتساعه لمرورها منه، يكون على جانبي الشارع يفصل بينه و بين الجزء الذي تسير فيه السيارات فاصل من رصيف عالٍ كثيراً ما يكون فيه صف من أشجار الظل، أو مجرد فاصل من القضبان الحديدية وبجانب سير الدراجات يكون رصيف عريض لسير المشاة مما يلي الأبنية الواقعة على الشارع.

هذا وقد سألت الإخوة المرافقين عندما رأيت الأبنية الضخمة المتعددة الطوابق عما إذا كان بعض الناس في بكين لا يزالون يجدون صعوبة في الحصول على مسكن في بكين، فقالوا: إن هذا لا يزال هو القاعدة لأنه كان قد مضى زمن لم تكن الدولة فيه تقيم مساكن جديدة إلا لأقل القليل من السكان.

وقد أخبرونا أن الحكومة أعلنت أنه لا يزال يوجد في الصين عشرة ملايين أسرة لا تجد مساكن لها.

وذلك من الحكومة من باب الدعاية لنفسها لأنه إذا كان لا يوجد من بين ألف مليون وسبعة وثلاثين مليوناً من البشر هم عدد سكان البر الصيني إلا عشرة ملايين أسرة لا تجد لها مساكن فإن ذلك أمر جيد، ولكن العارفين بالأمور يقولون إن الأمر غير ذلك، وإن أزمة السكن وبخاصة في المدن الكبيرة لا تزال مستحكمة مع أن الحكومة لا تلقي بالاً لمساكن القرويين والفلاحين، ولا تسعى في إيجاد مساكن لهم، لأنهم هم يحلون المشكلة بأنفسهم فيبني الفلاح في شمال الصين- مثلاً- بيته من الطين المتوفر تحته أو حوله، ويبني الفلاح في جنوب الصين بيته من الأخشاب الموجود هناك بوفرة.

هذا وقد وصلنا مطار بكين بعد ساعة كاملة من السير، ولم يكن بقي على قيام الطائرة إلاّ خمس وعشرون دقيقة فانقسم الإخوة المرافقون إلى قسمين أحدهما يعمل في وزن الأمتعة وترحيلها وقطع التذاكر والآخر يسرع بنا إلى الدخول لقاعات المغادرة.

وتكرر هنا ما فعلوه في الزيارة السابقة معنا ومع غيرنا من الركاب وهو أن يطلبوا الإطلاع على جواز المسافر أو بطاقته الشخصية إن كان صينياً، ثم يقارنون بين صورته على الجواز أو البطاقة بوجهه بعيون فاحصة، ويتولى هذه المهمة عدد من الرجال والنساء، مع أنهم كانوا في هذه المرة أكثر مجاملة لنا مما كانوا عليه في المرة السابقة إذْ سمحوا لنا خاصة بالدخول دون أن تمر حقائبنا اليدوية بالفحص الكهربائي، ودون أن يطلبوا منا أن نخلي جيوبنا من المواد المعدنية كالمفاتيح والساعات كما هو المعتاد في مثل هذه الحالات.

وأسرعنا نجري مع ممر في المطار فيه سير كهربائي غير طويل حتى وصلنا إلى بوابة الخروج التي كان فيها مضيفتان تستحثان الركاب على السرعة ثم صعدنا الحافلة وكانت ممتلئة بركاب الطائرة الذين كانوا كلهم راكبين وظلت تنتظرنا لذلك أغلقت أبوابها وسارت نحو المدرج عندما دخلنا إليها، ولم يركب بعدنا أحد.

من بكين إلى خوخا خوت:

رافقنا في السفر إلى مدينة (خوخاخوت) أخوان كريمان من المقرر أن يظلا معنا طول الوقت في هذه الجولة على الصين، وهما الشيخ (نعمان ما شيان) نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية، والأمين العام لها.

والأخ الأستاذ (مصطفى يانغ جي بوه) سكرتير العلاقات الخارجية

بالجمعية وهو مترجمنا أيضاً لأنه يعرف العربية جيداً تعلمها في الصين في أول الأمر ثم ابتعث للدراسة في مصر.

وغادرت الطائرة مطار بكين في الثالثة والدقيقة السابعة والعشرين متأخرة دقيقتين عن الموعد المحدد لإقلاعها من قبل وهذا لا يعتبر تأخيراً، بل إن شركات الطيران العالمية أخذت الآن تعتبر أن تأخر ربع ساعة فما دونه يعتبر أمراً طبيعياً، وإنما يعتبر ما زاد عنه تأخيراً ينبغي الاعتذار عنه للركاب مع بيان سببه.

وهي طائرة مروحية صغيرة فيها ٤٦ مقعداً وذات محركين مروحيين ذكرني دورانهما بعصر قديم كانت الطائرات المروحية هي التي تعمل خلالها في بلادنا، وذلك قبل اختراع الطيران النفاث.

وجميع مقاعدها مشغولة بالركاب، وليست فيها أرقام، وإنما وجدنا مقاعدنا مقلوبة إشارة إلى أنها محجوزة أو هذا ما ظنناه.

وقد أعلنت المضيفة في مكبر الطائرة بالصينية وهي اللغة الوحيدة التي تكلمت بها بأن المسافة إلى مدينة (خوخاخوت) ستستغرق ساعة وعشر دقائق.

وهذا يدل على قرب لم أكن أتوقعه من بكين، لأن الطائرة ليست من النفاثات السريعة، وكنت أظن أن عاصمة (منغوليا) الداخلية تبعد عن بكين أكثر من ذلك.

وأثاث الطائرة ليس جيداً، ومقاعدها ليست وثيرة، بل هي إلى الصلابة أقرب حتى إنني لاحظت أن المقعد الذي أجلس عليه فيه شيء صغير منه صلب غير مريح للجالس عليه.

وليس في جيب المقعد أي شيء من المطبوعات أو النشرات التي توضح اسم الطائرة أو نوعها أو حتى من المنشورات عن الشركة التي تتبعها وهي شركة الطيران الصينية التي يرمزون لها اختصاراً بالحروف الأربعة (CAAC).

وليس فيما بين يدي الراكب تحت الكراسي الذي أمامه متسع للحقائب اليدوية كالمعتاد وإنما يضع الناس حقائبهم اليدوية وأمتعتهم التي يحملونها بأيديهم، وفيها ما هو ثقيل في الرفوف التي فوق رؤوسهم على جانبي الطائرة وهي رفوف معتادة ليس عليها أبواب، بل هي كالرفوف في حيطان المنازل، وهذا يعني أنه في حالة تعرض الطائرة لحادث غير متوقع كالاهتزاز الشديد مثلاً فضلاً عن التقلب أن هذه الأشياء الثقيلة ستقع على رؤوس الركاب لا يمنعها عن رؤوسهم مانع.

وهي إذا وقعت فإنها لن تكون كوقوعها فيما إذا وقعت من رف المنازل على الجالس تحته، وإنما أثقل من ذلك وأشد وقعاً منه بكثير لأن سرعة الطائرة تجعلها كذلك.

حيث يوزن أثر الكتلة في الهواء بسرعتها مضافاً إليه وزنها أو العكس، وكلما كانت سرعتها الشديدة أكثر كانت أصابتها أشد كالرصاصة السريعة التي تقتل الإنسان من أجل سرعتها، وليس من أجل وزنها الثقيل.

ولا أدري كيف غاب عن أذهانهم هذا ونحن كنا في بلادنا عندما كنا نستعمل مثل هذه الطائرات وكانت رفوفها مثل رفوف هذه مكشوفة فإن المضيفين كانوا ينزلون منها الحقائق اليدوية والأشياء الثقيلة فيجعلونها تحت مقاعد الركاب أو في مكان خاص بها من مقدمة الطائرة ولا يبقون

علـى هـذه الرفـوف إلا مـا كـان خفيفـاً جـداً كالثيـاب التـي أهمهـا العبـي أي المشالح التي يلبسها الرجال.

وعند إغلاق باب الطائرة قبل الإقلاع، ولم تكن الطـائرة مكيفـة بل لـم يكن فيها حتـى مراوح كهربائيـة صـغيرة، وذلـك اعتمـاداً منـهم علـى كونـها تطير في منطقة باردة في أغلب أشـهر السنة، إلا أن كونـها مليئـة بالركـاب وهي صغيرة غير مكيفة شعرنا فيها بالحر، وشعرت أنـا بشـيء آخر وهو رائحة الثوم النفاذة المؤذية التي انبعثت من أفواه الناس وأنفاسهم.

وكنت أكلت مـع الغداء اليوم بعض (الاربيان) وهو صـغار السمك الـذي تـسميه العامـة عنـدنا الآن (الروبيـان) ويـسميه الإخـوة المـصريون بالجمبري وكان قد أضيف إليه أثناء الطبخ قليل من الثوم مع حرصي على تفادي أكل شيء فيه ثوم لكيلا أوذي جلسائي الـذين أضـطر إلـى الاقتراب منهم، والتحدث معهم طول الوقت بسبب فضولي وكثرة كلامي معهم.

غير أنني عندما شممت روائح الثوم الشديدة المبعثة من أفواه الركـاب أيقنت أن الثـوم الـذي كـان تـسرب إلـى فمي قد ضـاع فـي زحـام ذلـك الثـوم الكثير وكفى الله المؤمنين شم الثوم!

وفي الطائرة مضيف ومضيفة لخدمـة الركـاب ولكنهمـا لـم يفعـلا شـيئاً غير توزيـع الهـدايا والـضيافة كمـا سيأتي، ولـم تكـن منهمـا للركـاب أدنـى مجاملـة حتـى ولا الابتـسامة المـصطنعة التـي يطيـب لـي أحيانـاً أن أسـميها بابتسامة العمل، وهـي التـي تكـون علـى أفـواه المـضيفين والمـضيفات أثنـاء مواجهتهم للركاب وتتبخر منها حينما يشيحون بوجوههم عنهم.

وذلـك جريـاً علـى العـادة التـي عرفناهـا مـن الطـائرات الـصينية فـي الرحلات المختلفة داخل البلاد.

وهو أمر لم يكن فيه العمال والعاملات في الخطوط الصينية بدعاً من بني قومهم العاملين في الإدارات والمؤسسات العامة الذين لا يرون أن الواجب يقضي عليهم أن يجاملوا المتعاملين معهم بابتسامة أو حتى أن يلقوهم بوجه طلق وحتى وإن كانوا لا يوصمون بالتقصير في عملهم.

فهم في هذا الأمر عكس ما جاء في الحديث الشريف (لا يحقرنَّ أحدكم من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق).

وقد عرفنا ذلك منهم في الفنادق والمطاعم إلا ما يكون من المجاملة للأجانب إذا عرفوا ذلك من لباسنا أو مظاهرنا وهم يعرفونه على كل حال.

بين بكين وخوخاخوت:

لم يكن لي أن أخصص عنواناً لما يكون بين مدينتين أسافر بينهما بالطائرة لولا أن الطائرة هي صغيرة محدودة الارتفاع، وأن الجو في أغلب الطريق كان صحواً يمكن الراكب في هذه الطائرة من مشاهدة ما تحته من الأرض ووصفه.

وهذا من حسنات السفر بالطائرات الصغيرة، إذْ لو كان سفرنا بطائرة كبيرة نفاثة لما أمكننا أن نتبين ما تحتنا من معالم الأرض.

عندما ارتفعت الطائرة تجلى لنا ريف بكين الأخضر الملاصق للمدينة وبعض البيوت فيه ذات السقوف المسنمة من أجل أن تنزلق عليها مياه الأمطار، ولا تتراكم عليها ثلوج الشتاء.

أما الحقول فإنها تبدو خضراء في أكثر الأماكن ما عدا بقعاً صغيرة يظهر أنها حقول قمح صغيرة قد حصد أو أدرك أن يحصد.

كما اتضحت بين الحقول عدة قرى أو تجمعات لمساكن ليس في أزقتها أو شوارعها شيء من الزفت، بل كلها تبدو في رأي العين ترابية.

ولكن تلك البيوت عامرة بالأشجار الكبيرة وداخل أفنيتها فيما حولها من الخارج.

ثم كثرت هذه القرى الريفية وتقاربت مع ارتفاع الطائرة ومضيّها جهة الشمال الغربي الذي تقع فيه مدينة (خوخاخوت) عاصمة (منغوليا) الداخلية.

وهذا يفسر كثرة السكان في الصين الذين يزيد عددهم على ألف مليون بسبعة وثلاثين مليوناً كثيراً ما يغفلها الصحفيون والمتكلمون منهم فيقولون: إن بلادنا هي بلا الألف مليون نسمة، ويسقطون من حسابهم السبعة والثلاثين مليوناً استقلالاً لها عند ذكر الألف مليون مع أنها ربما تعادل سكان جميع الأقطار العربية الواقعة في قارة آسيا أو لا تقل عن ذلك إلا قليلاً.

وشيء آخر غير ارتفاع الطائرة الذي جعل القرى الريفية تبدو متقاربة في النظر وهو أمر حقيقي ناشيء عن توزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم إلى قطع زراعية صغيرة جداً بمقاييس ما نعرفه من مساحة الأرض الزراعية، يجعلون حصة كل أسرة ألفي متر مربع منها وهذا يجعل الازدحام في الريف أشد، ولكنه يمنع من حدة تركيز السكان في المدن أو على الأقل يخفف من ذلك.

ثم رأينا وسط هذا الريف الأخضر قناة مائية صغيرة تبدو وكأنها النهر الصغير لو لا أن مجراها مستقيم يشعر بأنها شقت شقاً وليس مجراها طبيعياً.

وهي واحدة من قنوات مائية كثيرة تشتهر بها الصين في القديم والحديث ولا مجال لذكرها هنا، ولكنني ذكرت ما شاهدته منها ضمن منطقة صغيرة بين مدينة

شنغهاي أكبر مدن الصين وبين بلدة (شي آن) التي يقع فيها مسجد أثري قديم، زرناها من أجله وذلك في كتاب: (داخل أسوار الصين).

جبال يانغ شن شي:

ويانغ منطقة وشن: جبال، فكأن الترجمة الحرفية لهذا الاسم منطقة شن الجبلية، أو (جبال شن) وعلى أية حال فإنه ربما كانت هذه الجبال كلها لا تهم بعض القراء الكرام، فكيف يهمهم معرفة اسمها؟

والجواب: إن المعرفة ينبغي أن يعتني بها الجميع، و كان أسلافنا العرب العظام من المؤرخين والرحالة يدونون كل ما رأوه وأحياناً يدونون كل ما سمعوه وإن لم يروه من أخبار البلدان النائية محبة للمعرفة وخدمة للعلم.

أهم ما لفت نظري في هذه الجبال التي أصبحت الطائرة تطير فوقها هو خضرتها الشديدة مما يدل على أنها شاملة لها، ولا تكون كذلك في العادة إلا إذا كانت مغطاة بأشجار الغابات، لأن الحقول تكون في السهول في الأغلب ولكونها أي الحقول يكون في بعضها فراغ كما شاهدناه في الريف الذي كنا نطير فوقه قبل أن نصل إلى هذه الجبال.

وبين هذه الجبال وديان غير متسعة ليس فيها كثير عمارة لضيقها عن ذلك، وبعد قليل من الطيران فوقها وصلنا إلى جزء منها ذي وديان فيها اتساع وقد غصت بالعمارة من البيوت القليلة والمدرجات المزروعة الخضر.

ثم قطعنا هذه الجبال الخضر جبال (شن شي) إلى سهل أخضر فيه بعض التلال الجبلية المتطامنة وهو معمور كله إن لم نقل مغمور كله بالزراعة والقرى الريفية المتقاربة.

وبعد قليل اعترضتنا جبال أخرى ربما كانت متصلة بالأولى وهي خصبة ذات وديان بينها عامرة، ولا تزال الطائرة متجهة إلى الشمال الغربي حيث تقع مدينة (خوخاخوت) التي نقصدها.

وكانت أكثر الجبال الخصبة التي مررنا بها على هيئة حيطان منقادة، وإن لم تكن مستقيمة تماماً.

إن الجبال قد تغير شكلها الآن فصرنا فوق جبال غير منقادة، وإنما هي أشبه بالأكوام المتصلة، وقد قلت الخضرة فيها بالنسبة إلى خضرة جبال يانغ شن شي، ولم أر فيها نهراً، ولا آثاراً لنهر فسألت الإخوة المرافقين الصينيين فذكروا أنهم لا يعرفون وجود نهر هنا، وإنما هذه الجبال تقع عليها ثلوج كثيفة في الشتاء، تفيدها خصوبة في الربيع والصيف.

هذا ونحن إذ نوغل في الأرض الصينية شمالاً، إنما نحن نبعد في الحقيقة عن البحر ولذلك حتى الأمطار تكون قليلة في الغالب بالنسبة إلى الأماكن الخصيبة القريبة من البحر.

وقد رجعت ببصري إلى داخل الطائرة عندما لم أجد ما أشغله به خارجها فرأيت الركاب كلهم من الصينيين ما عدا ثلاثة من ذوي المظهر الأوروبي، وربما كانوا من السياح الأمريكيين.

وأغلب الركاب من الصينيين ليسوا من ذوي المناظر الوجيهة وربما السبب أن نسبة منهم هم من سكان منغوليا الداخلية ذات المظهر الصحراوي أو الشبيه بالصحراوي.

وعلى الأرض أسفل من الطائرة تغيرت المناظر عامة فأصبحت أقل خضرة وخصوبة حتى الحقول التي ظهرت فيها آثار الزراعة قد فارقت

أكثرها الخضرة، وربما كان أكثرها من القمح الشتوي الذي أصفر وأدرك الحصاد أو قد حصد بالفعل، وهذا ما وافقني عليه الإخوة المرافقون، وبعد هنيهة من الطيران تغيرت الأرض وانقطعت الجبال، وصار مظهر الأرض مظهر الصحراء في الربيع حيث لا توجد إلا خضرة قليلة متفرقة، و هي خضرة أعشاب وأشجار برية صغيرة وليست خضرة أشجار كبيرة نامية.

وقد وزع المضيفان ضيافة الطائرة وهي كيس من الورق المقوى يحتوي على شراب من شراب الكمثرى وعلبة صغيرة فيها حبات من الحلوى.

ثم أهدوا إلى الركاب حقائب نقود صغيرة توضع في الجيب مكتوباً عليها اسم الشركة ليحتفظوا بها تذكاراً لهذه الرحلة مع الخطوط الصينية، وهي رحلة ربما لا تتكرر لأكثرهم إلا نادراً، لقلة دخولهم بالنسبة إلى أجرة الطائرة المرتفعة، وإن كانت لا تصل إلى نصف الأجرة بالنسبة للأجنبي.

والأجرة للأجنبي تتماشى مع مستوى الأجور الدولية للطيران كما نعرفها، وربما يأتي بيان لذلك فيما بعد.

ثم وصلت الطائرة إلى أرض شبه صحراوية أو هي صحراوية بالفعل لا يرى المرء فيها أي مظهر للخضرة ما عدا خضرة قليلة فوق بعض التلال القليلة.

ولا غرو في ذلك لأننا نطير الآن على حافة صحراء (جوبي) الكبيرة المشهورة، ومع ذلك رأينا بعض الجبال فيها مدرجات الزراعة تلتف حولها، ولا شك أنها زراعة تنتفع من مياه الثلوج الكثيفة التي تجلل هذه الجبال في الشتاء وتذوب بعد ذلك.

ومع هذا المظهر الجاف فإننا نشاهد تحتنا قرى صغيرة متعددة بيوتها

من الطين ولا نرى فيها أثرا للخضرة كالأشجار التي تكون في أفنية البيوت في القرى، والأرياف التي رأيناها قبل قليل في ريف بكين.

وربما كان المحصول الرئيسي فيها من القمح الشتوي الذي يزرع في أول فصل الشتاء فيقع عليه الثلج، فيغذي أرضه، ثم يبدأ ظهور أوراقه في شهر مايو ويغلظ ويشتد قبل أن يشتد الحر في أول فصل الصيف لذلك لا ترى آثار خضرته على الأرض في الوقت الحاضر.

وكنت رأيت مثل هذا القمح الشتوي كثيراً في تركستان الشرقية عندما زرناها في المرة السالفة، كما كنت رأيته في جنوبَ الاتحاد السوفيتي وفي شرق أوروبا وخاصة في رومانيا.

ومررنا فوق بلدة متوسطة السعة لا زفت مطلقاً في شوارعها وكثرت القرى الصغيرة ذات المظهر الطيني كالتي كانت عليه بلادنا قبل التطور الاقتصادي الأخير الذي نقلها من ذلك إلى البناء بالأسمنت المسلح المطلي بالألوان الجميلة.

ولا أثر هنا لأنهار أو حتى وديان إلاّ ودياناً كوديان الصحراء عندنا ذات مجار واسعة ليس فيها في الوقت الحاضر إلا الرمال.

ومع هذا المظهر الصحراوي الجاف لا نزال نرى قرى صغيرة متناثرة في هذا الوسط الخالي من الخضرة ولا أدري ما تعتمد عليه هذه القرى في حياتها، إن لم يكن رعي القطعان وتربية الماشية لأنه- حتى الجو هنا- هو قاسٍ في الشتاء تتدنى درجة البرودة فيه إلى الثلاثين تحت الصفر.

ورأينا قناة ماءٍ قادمة من الجبال قال الإخوة المرافقون: إنها من ذوب الثلوج أو من سد في الجبال يتغذى من الثلوج الذائبة، أو من الآبار الارتوازية التي ذكروا أنها هي الوسيلة الشائعة هنا للحصول على المياه.

وقبل الوصول إلى مطار (خوخاخوت) بعشرين دقيقة بدأت الطائرة بالتدني إلى الأرض، وهي تطير فوق تلال جبلية اضطرب لها كيانها وصارت تهتز ومنظر هذه التلال منظر التلال الصحراوية ما عدا بعض الأعشاب في أماكن منها منخفضة.

ومع ذلك رأينا مدرجات زراعية تعلوها وتهبط ولكنها جافة ليس فيها عود أخضر.

ثم وصلت الطائرة إلى سهل أكثر خصباً وفيه أشجار من أشجار الظل كثيرة ويقع في أرض منخفضة بالنسبة إلى هذه التلال فأسرعت الطائرة إلى الدخول إليه و هي تتدنى إلى الأرض وزمجر محركها، وربما كان ذلك لكبح جماحها لأن المعتاد أن يخف صوت المحركات عندما تبدأ الطائرة في الهبوط.

وظهر لنا ونحن نقترب من اجتياز إحدى التلال أنها تلال طينية وليست جبالاً من الحجارة الصماء، وقد رأيت مساحات متسعة منها في مقاطعة كانسو في شمال الصين الغربي وذكرت وصفها في كتاب (داخل أسوار الصين).

كما تبين أن هذا السهل الذي يتميز بخضرته وكثرة الأشجار بالنسبة إلى ما حوله هو الذي تقع فيه مدينة (خوخاخوت).

على مطار خوخاخوت:



خلف المضيفة الأرضية مع أعضاء الجمعية الإسلامية عند الوصول لمطار خوخاخوت

كان من التقليد الذي عرفناه في الاتحاد السوفيتي خلال جولتي فيه على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، كما هو الحال هنا في الصين، أن يوعز المسئولون في الطائرة إلى الركاب ألا ينزلوا من الطائرة قبل الضيوف الموجودين معهم على متنها.

وذلك لكوننا نجد في كل السفرات أناساً يستقبلوننا عند سلم الطائرة فرأوا إنه ليس من المناسب أن ينزل الركاب قبل الضيوف الذين سيسلم عليهم مستقبلوهم، وكان الركاب يمتثلون لذلك امتثالاً مطلقاً، فلم يكن أحد منهم يغادر مقعده حتى نغادر الطائرة نازلين منها.

أما هنا في الصين فإن الأمر ليس فيه شيء من ذلك، وإنما هو الإسراع المعهود بالخروج من الطائرة.

وجدنا في الاستقبال عند سلم الطائرة عدداً من الإخوة المسلمين المستقبلين من أهل (خوخاخوت) على رأسهم رئيس الجمعية الإسلامية الفرعية في مقاطعة منغوليا الداخلية الشيخ علي جنغ ده خه والسيد: عيسى ساو منغ نائب رئيس الجمعية.

والأخ إبراهيم باي فنغ فنغ نائب رئيس الجمعية.

والإمام إبراهيم شن فو شن إمام الجامع الكبير في خوخاخوت.

وبعض مصوري الصحافة ومضيفة أرضية موردة الخدين قادتنا إلى قاعة كبار الزوار في المطار، بينما جاءت مضيفة أخرى تسكب الشاي في الأقداح الخزفية الصينية التي كانت معدة له على الموائد الصغيرة أما القاعدة فإنها جيدة التأثيث مقاعدها مكسوة بقماش على الطريقة القديمة التي كان فيها الناس يكسون المقاعد بالقماش وغاية لها من الأوساخ وسعتها مناسبة لأن قوماً كانوا استقبلوا الأوروبيين الثلاثة الذين كانوا معنا في الطائرة وأجلسوهم في زاوية منها لفترة قصيرة ولم يقدموا إليهم الشاي كما قدموه لنا من دون أن نشعر بضيق القاعة.

وقد انقضى وقت قصير على بقائنا فيها كان الحديث خلاله وحوله ترحيب هؤلاء الإخوة المسلمين في هذه المقاطعة النائية بنا، وكان الحديث يدور مترجماً رغم كون الحاضرين فيهم عدد من أئمة المساجد الذين يعرفون جملاً وكلمات من العربية لا تغني شيئاً.



في صالون الشرف في مطار خوخاخوت
على يساري رئيس الجمعية الإسلامية في منغوليا

وجلس الشيخ (علي جنغ) رئيس الجمعية الإسلامية بجانبي يحدثني عن نفسه بأن عمره الآن ثمانون سنة، وأن ابنه الوحيد يدرس العلوم الإسلامية والعربية في المعهد الإسلامي في بكين وأنه يأمل أن تعمل الجمعية الإسلامية الصينية في بكين على ابتعاثه إلى أحد البلدان الإسلامية بعد تخرجه من المعهد لكي يواصل تحصيله العلمي في الشريعة الإسلامبة وإن هذه هي أمنيته في الحياة.

وذكر أنه حج مرة واحدة وأثنى على ضيافة رابطة العالم الإسلامي له خلال وقت الحج.



الخروج من صالون الشرف في مطار خوخاخوت خلفي في أيمن الصورة الحاج علي رئيس الجمعية الإسلامية ورحمة الله بن عناية الله ثم بقية المرافقين

إلى مدينة خوخاخوت:

قدموا ثلاث سيارات صغيرة كانت واقفة في انتظارنا عند باب غرفة كبار الزوار مما يلي داخل المطار وتركوا أمر تخليص الأمتعة لقوم آخرين منهم.

وركب معي في السيارة الأولى الشيخ علي جنغ رئيس الجمعية وهو إمام مسجد منذ زمن قديم، ولكنه لا يحسن من العربية ما يفيدني.

ومما فهمته منه قوله: إن الثلج يكون في الشتاء فوق هذه الأرض التي نراها كثيفاً جداً.

وسارت السيارات فشبهت مظهر الطريق الذي انطلق من المطار بمظهر تركستان الشرقية (شنجاك) بالصينية وسينكيانغ بالإنكليزية، لولا أن تركستان أقل صحراوية من هذه المقاطعة رغم كونهم قد حرصوا على غرس الأشجار الكثيرة من أشجار الأخشاب ولا نقول الظل لأنهم أقل حاجة إلى الظل من غيرهم، بسبب قصر فصل الصيف واعتداله عندهم ولكن من أجل تحسين المظهر، ومن أجل الثروة الخشبية منها.

والطريق الذي كنا نمشي عليه أزفلتي جيد إلا أنه واحد تتقاسمه السيارات الذاهبة للمطار والآيبة منه، ويفصل بينهما خط ذو لون أبيض.

وقد غرسوا على جانبي الطريق أشجاراً كما قلت يظهر من هيئتها أنها غرست قبل حوالي عشر سنين.

ولا يزالون يعملون في توسعة الطريق، وإصلاح أكتافه.

وتشبه المناطق التي تليه المناطق الريفية غير أن الحقول فيها قليلة، وإنما فيها خيل أكثرها وهم ليست طويلة ولا رشيقة وذكرت في ذهني ما دونه مؤرخونا عن خيول التتار يريدون بهم المغول سكان هذه البلاد وتظهر الأشجار المستقيمة على الطريق وكأنه الطريق بين مطار مدينة أورمسي عاصمة تركستان الشرقية وبين المدينة لو لا أن هذه الأشجار المغولية- إن صح أن للأشجار أنساباً- هي أقصر، ولو لا أن التركستانية أوسع وهي في أكثر أحوالها تتألف من طريقين أحدهما للسيارات الذاهبة والآخر للآيبة ولا تكاد تجتمع في مسار واحد.

ولاحظنا هنا ما يصح أن أسميه طابع الصين وهو الذي يمكن أن يطبعها بطابعها الذي لا يشاركها فيه غيرها من العالم، وهو كثرة استعمال

الدراجات، وهذا أمر أصبح مالوفاً لنا في المدن الصينية، ولكن الشيء الذي استرعى انتباهي هذا اليوم هو وجود هذه الدراجات بكثرة في هذا الجو الريفي، وهي عليها أصحابها معهم ما يريدون حمله مما يكون في بعض الاحيان أو أكثرها ذا مظهر كبير، وإن لم يكن ثقيلاً مثل دراجات رأينا عليها أكواماً من الحشيش وبعضها عليها عدلان، ربما كانا من العلف والسائق قد اختفى عن النظر أو كاد يختفي بينهما.

بل إنني عندما رأيت مثل هذه الدراجات هنا لم أتبينها أول الأمر لأنك لا ترى إلا كتلة تسير على الأرض إلى أن تبين سائق الدراجة أو عجلاتها.

وبالنسبة في ذلك كما هو ظاهر أن الدراجة هي الوسيلة الأكثر شيوعاً في الصين بالنسبة للانتقال الشخصي ولنقل الأمتعة حتى ولو كانت ثقيلة ثقلاً ليس شديداً.

ولم أرهم هنا يكثرون من النقل على الحمير كما يفعل مواطنون لهم في مقاطعة كان سو في شمال غرب الصين التي رأينا أن الحمار فيها لا يزال هو أكثر المراكب شيوعاً في ريف تلك المقاطعة.

وربما كان للجو القاسي البرودة في أكثر السنة في هذه المقاطعة ما يمنع من تكاثر الحمير.

وفي هذا الريف أو الشبيه بالجو الريفي توجد بيوت قديمة مبنية من الطين، وبخاصة حيطان المزارع الكبيرة أي أسوارها فهي جدران من الطين مثلما كان الأمر عليه عندنا قبل التطور الأخير.

ومظهر هذه الحيطان الطينية مظهر القديم جداً.

ثم مر الطريق فوق جسر على مجرى جاف لا شك أنه لوادٍ يجري إذا أصابه

المطر وليس لمجرى مائي دائم كما هي الحال عليه في أرض الصين الخصبة.

وبدأنا نرى بيوتاً حديثة مبنية من الآجر وهو الطين المفخور أو المحروق على حد تعبير إخواننا المصريين وهي ذات سقوف مسنمة مسترخية أي ليست كاملة السنام أو ليست واقفة الأسنمة.

هذا والسائق يضغط على بوق سيارته كالعادة المتبعة في الصين، وإن لم يكن هناك زحام شديد، ولكن ربما كان ذلك من أجل الاحتياط أو بحكم العادة، لأن الطريق ليست فيه سيارات كثيرة ولكن فيها دراجات وحيوان قليل.

ووصلنا إلى أبنية حديثة متعددة الطوابق وهي لا تزال تحت الإنشاء وهم يبنونها بالآجر والأعمدة والدعائم بالأسمنت المسلح.

بل رأينا على شارع المطار مباشرة فرناً بدائياً لحرق الطين وتحويله إلى آجر، مما يدل على أن الأسمنت عندهم ليس متوفراً بثمن رخيص، و إلا لما اضطروا إلى الفخار الذي يحتاج إلى جهد ونفقة ويلوث المنطقة التي يكون فيها بدخانه ومخلفاته من الرماد وغيره.

ثم مر الطريق بحقول خضر على جانبيه، نرى في أطرافها بيوتاً قديمة من الطين أساسها من الحجارة منعاً للرطوبة وربما كان ذلك منعاً للرطوبة التي تنشأ عن الثلج عندما يسقط في الشتاء ويظل على الأرض مدة طويلة.

وأكثر السيارات التي تشاركنا استعمال الطريق الآن هي سيارات الحمل الكبيرة التي تصنع في الصين الشعبية، وهي ضخمة غير رشيقة المنظر ولا مرنة الحركات، إذ تراها تحتاج إذا أراد سائقها أن يوقفها أن يسير بها وهو يحاول ذلك مسافة أطول من المعتاد في السيارات الكبيرة عندنا.

وأغلب هذه السيارات ذات لون أخضر، وتكون مملوكة في العادة للإدارات والمؤسسات الحكومية وليس للأفراد منها شيء.

ثم مررنا بمحطة للحافلات قد اجتمعت فيها أعداد من الناس من ذوي المظهر الصيني الخالص.

والحافلات في الصين الشعبية كثيرة ورخيصة الأجرة ونوعها لا بأس به، ولا عيب فيها إلا الزحام الشديد في بعضها، وكونها لا تصل إلى كل الجهات.

وهي كلها حكومية توفرها الحكومة للشعب تعويضاً له عن كونه لا يملك سيارات خاصة ولا تبالي بالخسارة في ذلك لأنها هي التي تكفلت بإتباع هذه السياسة التي تسميها الاشتراكية الشعبية.

وبعد ذلك وصلنا إلى بسطات بسيطة- إن صح التعبير- والبسطات هي البضائع القليلة المعروضة للبيع وهو مبسوطة على الأرض وهذا هو أصل تسميتها وإن يكن بعضها محمولاً على عربات يدوية أو دراجات.

وأكثر المعروض في هذه التي نراها الآن هي الخضرات الطازجة.

وعند أحدها رأينا بغلاً قصيراً عليه عربة واقفة.

وشاهدنا تلميذات يخرجن من مدرسة وهن كبار إما من طالبات الجامعة أو من طالبات المرحلة الثانوية وكلهن ترتدي ثياباً نظيفة، وفي مظهر صحي جيد.

ومما يجدر ذكره هنا أنه رغم الدخول المتدنية للشعب الصيني مما يجعل أكثر الشعب إن لم نقل كله لأن المتمتعين بالخيرات من موظفي الحكومة أو الذين أتيح لهم السفر إلى خارج قليل، نقول: إن هذا الشعب

يمكن أن يكون كله من الفقراء، إذا طبقنا المعايير العالمية للدخول الشهرية مضافاً إليها القدرة الشرائية للعملة لأن أجر العامل غير الماهر هو في حدود ٨٠ يناً أي ثمانين ريالاً سعودياً بالصرف الرسمي تقريباً ولو حسبناه بالصرف الحر لتدنى إلى ٥٨ ريالاً سعودياً.

ومع ذلك لا ترى مظاهر البؤس الموجودة مثلاً في جارتها الهند ولا علامات نقص التغذية التي هي ظاهرة في أكثر سكان القرى في الهند، كما لا نرى الثياب المهلهلة ولا الملابس الزرية، بل الجميع يبدون في مظهر جيد، وفي ثياب جيدة، أو لا بأس بها.

ولا شك في أن لتقاليد الشعب الصيني العريق في نظافة المظهر، وعدم الظهور بمظهر الفقير المحتاج عند أكثرهم دخلاً في ذلك.

ثم وصلنا إلى سوق من أسواق المدينة والشارع عنده واسع عليه الحوانيت الكبيرة التي هي كلها مملوكة للدولة، ودونها (البسطات) قالوا: هي شخصية، ويريدون أنها مملوكة لأصحابها لأنها من البضائع الصغيرة التي تباع على رصيف الشارع أو في جوانبه دون حوانيت.

وقابلنا سيل عرم من راكبي الدراجات مما ذكرني بالدراجات الكثيرة في مدينة بكين، وربما كان السبب في ذلك أن هذه الساعة وهي الآن الخامسة وعشر دقائق عصراً هي ساعة الانصراف من العمل.

ثم وصلنا إلى الشارع العام الرئيسي في المدينة وهو متسع، بل بالغ السعة قد غرست عليه صفوف الأشجار التي تفصل بين مسار السيارات وسطه، ومساري الدراجات على جانبيه، كما تفصل بين مساري الدراجات والرصيف من كل جانب.

وعلى هذا الشارع أبنية حديثة كبيرة متعددة الطوابق (عماير) من ذات الشقق السكنية التي تؤجرها الحكومة على الناس وهي إما مخصصة لموظفي الحكومة وعمالها وأكثر الناس يعملون في الحكومة والجهات التابعة لها في المدن، وإما أن تكون لبعض المؤسسات شبه الحكومية كالجمعيات التعاونية أو الإدارات الحكومية شبه المستقلة فتنشئ هذه العمارات وتؤجر شققها السكنية على المنتسبين إليها بأجر رخيص جداً بالنسبة إلى ما نعرفه من الأجور في العالم ولكنه غالٍ بالنسبة إلى الدخول الشهرية المتدنية في هذه البلاد.

ووصل الشارع إلى مستديرة في ميدان متسع منه وهي حديثة الإنشاء بل لم تكتمل بعد لأن العمال ما يزالون يعملون فيها، ولكنني رأيت من أمرهم عجباً وهو أنهم وهم في حدود الخمسة عشر كانوا قاعدين على الأرض وبأيديهم المجارف، ولا أحد يأمرهم بالعمل، أو ينهاهم عن التباطؤ فيه، وحتى لو كانوا يعملون فإن مجرد وجودهم بهذا العدد الكثير للعمل في مستديرة كان يكفيها عندنا وعند أمم أخرى أمثالنا عاملان، هو أمر فيه إسراف ظاهر.

وذلك شيء عرفناه عن الصين في أكثر الجهات التي رأيناها حيث تجد عشرة عمال لما يكفيه عامل واحد، ولكنك تجد أولئك العمال العشرة نظيفي الثياب، لا يبين الإجهاد على وجوههم أو على أجسامهم.

فعدلنا من الشارع العام بعد هذه المستديرة إلى شارع متفرع منه متوسط السعة قاصداً جهة الجنوب.

وهذا الشارع رغم ضيقه الظاهر بالنسبة إلى سعة الشارع العام فإنه مقسوم إلى مسير للسيارات في الوسط تتقابل فيه السيارات الذاهبة والآيبة دون فاصل إلا خط أصفر، ومسارين منفصلين على جانبيه أحدهما للدراجات الذاهبة في أيمن الشارع والثاني في أيسره للدراجات الآيبة.

في مدينة خوخاخوت:

أنزلونا في فندق منغوليا وهو واسع حديث، بل هو ضخم ممتد الأركان ذكروا أنه افتتح منذ سنتين أي عام ١٩٨٥م، وهو مظهر من مظاهر الانفتاح الصيني على العالم، لأن حكومة الصين الشعبية قد أوعزت لحكومات المقاطعات في الصين أن تقيم علاقات تجارية واقتصادية مع الحكومات الأجنبية إذا رأت هذا مناسباً، ولذلك صارت تلك الحكومات تشيد الفنادق والأنزال من أجل استقبال الضيوف الأجانب التي تتعامل معهم، ومن أجل السياح التي صارت المقاطعات تستقبلهم نتيجة لسهولة الحصول على سمة الدخول السياحية للصين الشعبية.

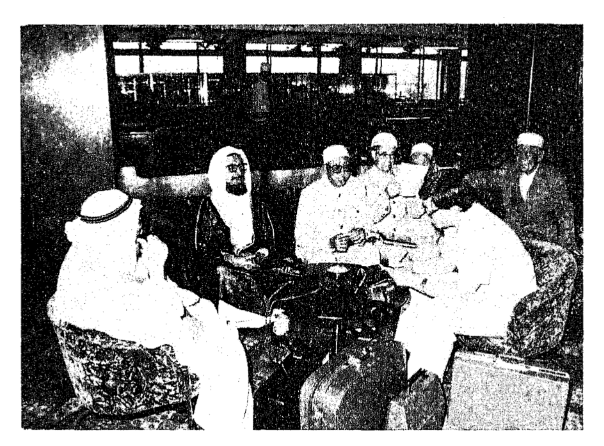
ومعلوم أن المقاطعات في الصين هي كالولايات في أمريكا الشمالية تكون لها الحكومات المحلية، ومجلس النواب المحلي، ولكن شتان بين الحقيقة لكل من الفريقين فحكومات الولايات المتحدة الأمريكية لها من السلطات القانونية والقوة المحلية ما يصعب منه أحياناً على الحكومة المركزية أن تنال منه.

أما هذه الحكومات المحلية الصينية ومجالسها التمثيلية والتمثيلية هنا تشبيه إلى أنها أشبه بالتمثيل على الشعب ليس من كونها تمثل الشعب حقيقة، فالشعب لا ينتخب ممثليه الذين يرضى بهم، وإنما الحال فيها كالحال في بقية الدول الشيوعية حيث يرشح الحزب الشيوعي عدداً من الأشخاص يطلب من الناس أن ينتخبوا أحدهم، ومن لم يعجبه أحد منهم، فليسكت، وإلاّ أسكتته القوّة إن لم يسكته الموت.

والحكومات نفسها هي حكومات من الحزب الشيوعي.

في هذا الفندق الكبير (فندق منغوليا) حانة واسعة بجانبها مقهاة عظيمة الامتداد جلسنا فيها مع مضيفينا نتناقش في موضوع البرنامج الموضوع لزيارتنا في هذه المقاطعة بينما كان باقي الإخوة يسعون في نقل الأمتعة التي أحضروها إلى الغرف.

ثم أخبرونا أن أمامنا فرصة للراحة حوالي ثلث ساعة يبدأ بعدها البرنامج.



الاستراحة بعد وصول مدينة خوخاخوت

وأنزلوني في غرفة في الطابق الثاني عشر من الفندق مؤلفة من غرفتين منفصلتين إحداهما قاعة اجتماع واسعة، والثانية غرفة نوم فيها سريران وحمام ليس في مستوى جودة الفندق ولا في مستوى الجودة في حمام فندق (شي يوان شي) الذي خرجنا منه في بكين مع أن كلا الفندقين حديث الإنشاء، وكمل بناؤهما في سنة واحدة فذلك الفندق (بكيني)- نسبة

إلى مدينة بكين- جعلوه على الطراز الأمريكي الحديث، و هذا المنغولي هو على الطراز الأوروبي ولكنهم لم يبالغوا في اختيار الرخام الفاخر له ولا في تنجيد أثاثه تنجيداً غالياً.

وقد صار القوم في الصين يحاولون أن يرضوا أذواق الزوار الذين يرون في العلاقة معهم حلاً للمشكلة الاقتصادية التي تعاني منها الصين، وهي التأخر الصناعي والتخلف الاقتصادي حتى ولو كان ذلك على حساب ظهور بعض المرافق في البلاد كالفنادق والأبنية بمظهر لا يحمل الطابع الصيني المميز وإنما يتميز بالمظهر الغربي.

وفي إطلالة من نافذتي الغرفة من خلف الزجاج عرفت أن البلاد تعاني من شتاء قارص البرد لأن النافذة فيها زجاج مزدوج أي هي نافذتان من الزجاج دونهما ثالثة من السلك في بعض أجزاء النافذة العريضة.

تماماً مثل ما هي عليه النوافذ في مدينتي موسكو ولينين قراد في الاتحاد السوفيتي ومدينة و ارسو في بولندا وبلغراد عاصمة يوغسلافيا.

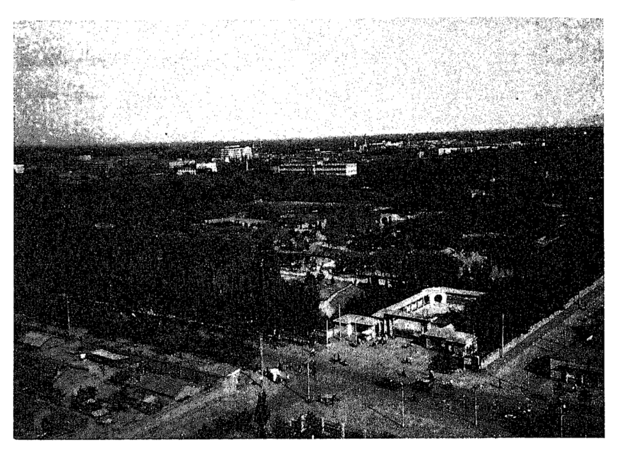
وقد زرت هذه الأخيرة في أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩٧١ الميلادي أي منذ ستة عشر سنة، وكانت درجة الحرارة فيها حسبما قالت لنا مضيفة الطائرة اليوغسلافية التي كنا قادمين عليها آنذاك من اسطنبول هي ١٨ درجة مئوية تحت الصفر.

فرأيت أن نوافذ الفندق الذي كنا نزلنا فيه، وهو فندق البلقان (بلكان هوتيل) جميعها من الزجاج المزدوج أي هي نافذة من الزجاج بعدها فراغ بعده نافذة أخرى من الزجاج ودون ذلك نافذة خشبية.

وهذه النافذة المنغولية هي كذلك، ولذلك لم أستطع أن أفتح النافذتين

كلتيهما لألتقط صورة لما أراه من المدينة من هذا الارتفاع الذي هو الطابق الثاني عشر للفندق.

فالتقطت الصورة من خلف الزجاج وأرجو أن تكون واضحة.



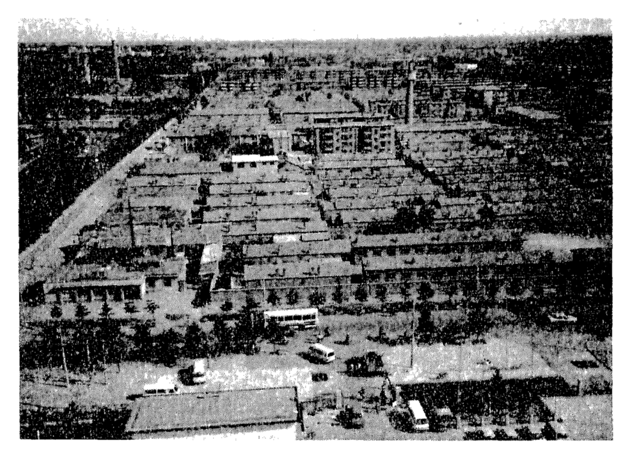
القسم الأخضر من خوخاخوت صورة من الطابق ١٢ من الفندق

وتطل هذه النافذة الجنوبية على جزئين من مدينة (خوخاخوت) أحدهما لبيوت كثيرة مستطيلة أشبه ما تكون بالعنابر التي يسكنها الجنود ونحوهم والثانية لقسم جيد من المدينة فيه بيوت حديثة جيدة تحيط بها حدائق الأشجار المخضرة، وفيه بركتان اصطناعيتان لا أدري الغرض منهما.

ثم انتقلت إلى الناحية الشمالية من الفندق من عند المصعد وفيه نافذة ذات زجاج واحد غير مزدوج والصورة من خلالها ستكون أوضح، فرأيت منها ما هالني من كثرة مداخن المصانع في المدينة حتى إنها تبدو كأنها

الغابة من تلك المصانع وذلك في المنطقة الواقعة شمال الفندق وجنوبا من تلة غير عالية ولكنها مستطيلة تطل على المدينة من جهة الشمال.

وتبين لي أن جزءا مما قيل لي في بكين عن مدينة (خوخاخوت) التي هي عاصمة مقاطعة شبه صحراوية قد صارت تعج بالمصانع إلى درجة أن أهل المدينة طالبوا بإيقاف إنشاء المصانع فيها حرصا على نقاء الهواء، وعدم الإضرار بصحة السكان.



من النافذة لجزء من مدينة خوخاخوت

وهذا أمر مناسب لأن المدينة ستعوض بهذا النشاط الصناعي عن النشاط الزراعي الذي لم ترزق حظاً من توفر ما يلزم له وهو الماء الوفير.

إلا أن المصانع المقامة فيها كثير منها يتعلق بما تنتجه المقاطعة مثل مصانع غزل الصوف ومصانع النسيج ومصانع السجاد ومن المقرر في البرنامج أن نزور

ثلاثة منها غداً ومنها مصانع الجلود، فكل هذه المصانع قامت على الثروة الحيوانية المتوفرة في هذه المقاطعة حيث تتيح لها طبيعة أرضها شبه الصحراوية أن ترعى فيها ملايين القطعان من الأغنام والأبقار والخيول والإبل.

وإبلهم هي ذات السنامين، وليست ذات السنام الواحد، لأن ذات السنامين هي التي تصبر على البرد الشديد، بل تصبر على الثلج المطبق وقد جعل الله لها من أوبارها ألحفة سميكة بعضها فوق بعض.

وذلك بخلاف البعير ذي السنام الواحد مثل إبلنا فإنها خلقت للجواء الصحراوية الحارة، ولذلك تصبر على العطش في الصحراء ما يزيد على ثمانية أيام، ويضر بها البرد الشديد.

وعلى أية حال فإن محاولة التعويض عن بعض المياه، وحتى عن انعدام الزراعة بإيجاد المصانع هي فكرة صائبة جداً لو أخذت بها مدننا السعودية، وقد أخذ الاتحاد السوفيتي ببعضها إذْ أنشأ المصانع تحت الأرض في المناطق الشديدة البرودة في بلاده الواقعة على حدود المنطقة المتجمدة الشمالية، وإن كان الفرق ما بين تلك المنطقة والصحراء هو وجود المياه التي قد تذاب من الجليد.

أول لباس عربي:

رأيت المسئولة عن إدارة الطابق الثاني عشر الذي نسكنه في الفندق وهي تحملق بثيابي العربية الطويلة وأنا أخرج وأدخل ألتقط الصورة من شمال الفندق ذكرت أن ما قاله لنا الإخوة في قاعة كبار الزوار في المطار قبل قليل، من أننا أول وفد سعودي يدخل إلى هذه المقاطعة وإن ملابسنا العربية هي أول ملابس عربية يراها أهلها على أناس يرتدونها، لأن معظم العرب الذين يزورون الصين بعامة وهذه المقاطعة خاصة يرتدون الزي

العالمي المسمى بالإفرنجي.

ولذلك طال عجب الناس عند ما رأونا لابسين الملابس العربية ونسير فيها وبخاصة في هذا الفندق الكبير الذي فيه كثير من العاملين والعاملات.

وعدت أتأمل ما في الغرفة فلاحظت الطبيعة الصحراوية لهذه المقاطعة ظاهرة في أشياء غير ظاهرة الاستعداد للبرد الشديد في الشتاء.

ومن ذلك وجود غبار دقيق جداً على كل شيء في الغرفة تقريباً مثل المناشف وحتى الكراسي، وليس معنى ذلك أنه لم ينظف وإنما معناه أن المنطقة ويغلب الجفاف عليها لأبد أنها تتعرض للعواصف من الغبار الدقيق، وهذا ما لم أسأل عنه ولكن آثاره ظاهرة من أثاث في هذا الفندق.

ووضعوا في الغرفة زمزميات المياه الحارة وهي الأوعية التي تحفظ المياه حارة وبجانبها أكواب الشاي الصيني وهي خزفية ثقيلة لها أغطية ثقيلة مثلها أيضاً، وبجانبها علبة فيها شاي صيني أصيل يصنعه المرء في غرفته إذا أراد، وصنعه لا يحتاج إلى كبير عناء، ينحصر في وضع المرء أوراق الشاي في الفنجان ويسكب فوقها من هذا الماء الحار، ويتركها لمدة دقيقتين أو ثلاث ثم يرتشف من الفنجان شاياً صينياً أصيلاً لا طعم له ولا لون قانياً، فهو خالٍ من السكر ولا يضاف إليه الحليب أصلاً، ولأنه ليس أحمر قانياً، ولا أخضر ظاهراً، بل هو بين ذلك، وفعله مثل لونه مختلف عن الشاي الذي اعتدنا على شربه فهو يدر البول أكثر مما يفعله شاينا المعهود، و لكنه لا يطرد النعاس أو لنقل إنه لا يجلب السهر كما يجلبه الشاي الثقيل في بلادنا وبخاصة الأخضر منه.

وهذا هو ما عرفته بنفسي من أثره وفعله وأما ما حدثنا به إخواننا

الصينيون عنه فإنه أكثر من ذلك إذ يذكرون من فوائده قطع العطش، والمساعدة على هضم الطعام، وعدم زيادة الوزن عن طريق إذابة الشحوم من الجسم، واعتقد أن ذلك ناتج عن كونه لا يوضع فيه السكر فيكون غير مسمن وليس طارداً للسمن، ومسبباً بنفسه تخفيف الوزن.

وقد وضعوا في الغرفة أيضاً ضيافة الفاكهة عنقوداً من الموز ليس غير، لأن بلادهم هذه ليست بلاد فاكهة، وإنما الفاكهة الوحيدة التي توجد فيها وليس هذا أوان إدراكها هي الخوخ والكمثرى وذلك على قلة أيضاً.

عشاء منغولي:

وهو في الوقت نفسه عشاء صيني لأن الذين صنعوه هم صينيون يعيشون في (منغوليا) الداخلية هذه.

وهذا العشاء معتاد وليس مأدبة رسمية، تلك ذكروا أن موعدها هو الليلة القابلة في هذا الفندق نفسه، وإنه سيحضرها عدد من رجال الإدارة في المقاطعة من المغول منهم نائب رئيس الحكومة ومدير مصلحة الشئون الدينية.

أما مائدة اليوم فإنها مقتصرة علينا نحن ومعنا الأخوان المرافقان من بكين واثنين أو ثلاثة من زعماء المسلمين في المقاطعة.

نزلنا إليها من غرفنا في الفندق بصحبة هؤلاء الإخوة إلى غرفة خاصة منفصلة عن مطعم الفندق في الطابق الأرضي اخترقنا لها بهو الفندق الواسع ورأينا فيه مما يتعلق بالمغول تمثالاً لرجل مغولي يعزف على آلة السمسمية، كما يعزف البدوي على الربابة في الصحراء، وهو شاب مشدود العضلات، بل معروق الجسم، معتدل البنية عليه الملامح المغولية المميزة من شاربين دقيقين ليس فيما تحت الأنف منهما شعر،

وعينين ضيقتين مائلتين إلى أنهما تحت جفنين غير ممتلئين، ووجنتين بارزتين إلا أنهما فوق خد أسيل نوعاً ما وليس كالخدود الصينية غير الأسيلة أي الواسعة التي لا تلاحظ أن جزءاً منها يزيد ارتفاعاً أو انخفاضاً عن الجزء الآخر.

كما رسموا على حيطان الفندق صوراً مكبرة واضحة لقطعان الأغنام البيض الي تكثر في هذه المقاطعة.

وقال لي أحدهم وهو يشير إلى صورة هذه الأغنام: هل ذقت لحم هذه الأغنام البيض من قبل، إنه لحم لذيذ؟

فقلت: لا، فقال ستذوقه فيما بعد إن شاء الله، ثم أضاف: لقد باعت حكومة هذه المقاطعة المنغولية أربعين ألف رأس من الغنم هذه إلى الكويت وصدرتها حية على بواخر.

كما رأيناهم رسموا سهولاً من سهول المراعي ترعى فيها خيول المغول الشهيرة في التاريخ لشجاعة أهلها وإن لم تكن مشهورة بجودتها في السباق.

فقلت لمحدثي: ماذا عن أكل المغول لحوم الخيل؟ فأجاب هم يأكلونها ولكن أكثر أكلهم كان في القديم لحوم الأغنام لا لحوم الخيل، إلا أن حياة بعضهم تغيرت الآن فأصبحوا يأكلون الخبز والبقول مثل غيرهم، ما عدا قلة منهم لا تزال معتصمة بالصحراء.

فقلت: معنى ذلك أنها ما تزال محافظة على نقائها، وعلى حياتها القديمة فهل لي زيارتها في وطنها؟

فأجاب كأنما هو يضحك في سره من سذاجتي مع أنني أعرف جوابه

مقدماً، ولكنني قلت ما قلته بدافع رغبتي الشديدة في رؤية أولئك الأقوام، إنهم يسكنون في بلاد بعيدة لا تصل إليها الطائرة، ولا توجد بينها وبين العاصمة طرق مزفتة حديثة.

وجدنا في الغرفة المخصصة لعشائنا مائدة مستديرة منصوبة قد وضعوا عليها مقدمات المائدة الصينية المعتادة التي يكون عليها في الغالب أنواع من الأطعمة تصل إلى عشرة أنواع في المتوسط، وغالباً ما تكون من الأطعمة الباردة والمخللات، وأخذت المضيفة التي استقبلتنا وهي امرأة مغولية في حدود الخامسة والثلاثين، وتمتاز بمظهر أجمل من مظاهر الصينيات الأصيلات ماعدا اللون فهن أصفى منها لوناً.

أخذت توضح لنا الأطعمة الموضوعة على المائدة وفيها غرائب من غرائب الأطعمة الصينية التي هي غريبة أيضاً.

فالصينيون قد تفننوا في طبخ الطعام كما تفننوا في زخرفة الأبنية وتعقيدها بديلاً من تبسيطها، وكنت قلت لرفقائي في المرة الماضية: إنني اعتقد أن الصينيين لو أتقنوا من الصناعات ما أتقنوه من طبخ الطعام لفاقوا العالم.

أو بعبارة أكثر واقعية: إنهم لو بذلوا من الجهد والتدقيق في الصناعات ما بذلوه في طبخ الطعام لكان لهم في هذا العالم شأن صناعي عظيم.

وقد كنت- وما زلت- أسأل عن السر في تفوق الصينيين في التفنن في صناعة الطعام، ولم أجد لي مجيباً يجيب بما هو صحيح من الكلام، وبخاصة عندما حدثني إخواننا عندما كنا في مدينة (قوانغ شو) التي كنا نعرفها باسم (كانتون) في الرحلة السابقة بأن أخاً مسلماً كانوا أحضروه ليطبخ لنا عشاء في مأدبة رسمية أقامتها لنا الجمعية الإسلامية هناك،

ودعت اليها كبار المسؤلين الحكوميين، وجاءوا بالطباخ المسلم ليرونا إياه فنطمئن على ان الطعام ليس فيه شيء من الحرام، وقالوا: هذا الأخ المسلم طباخ مشهور حتى إنه فاز في مسابقة كانت قد أقيمت في المدينة لمن يجيد انواعا أكثر من الطبخ المتقن، ففاز ذلك الأخ المسلم بالجائزة، لأنه أعد اثنين وأربعين نوعا من أنواع الطعام من الأسماك لم يعد مثلها الآخرون.

ومن الأنواع الغريبة في هذه الأطعمة الموجودة فوق المائدة المعدة في هذا المساء خيار يسبح وسط سائل أحمر اللون يشبه (الصلصة) ولكنه حلو المذاق، وطحين السمسم المخلوط بمادة حلوة، وقطع من الطماطم الصغيرة الطازجة قد نثر عليها قليل من السكر مما لم نألفه، ولم نستسغ طعمه، وإنما الذي استسغنا طعمه على غرابته هو طبق من عصب البقر جاءوا به ناضجاً موضوعاً في صحن فيه مرق فيه بعض اللزوجة، فكان العصب ينزلق إلى الحلق بسهولة، عند أدنى مضغ وقد استطبناه لغرابته وللإحماض به بعد الإكثار من أكل أنواع الطعام.

وكل هذه الأطعمة يأتون بها بمقادير مقدرة لأنه إذا كانت المائدة مؤلفة من عشرين نوعاً من أنواع الطعام مثلاً فإن الآكل لا يستطيع الإكثار من كل الأنواع بطبيعة الحال.

كما جاءوا بما أسموه فُطْر الغابات وهو أسود اللون يشبه الفقع وهو الكمأة في اللون إلا أن طعمه لا يشبهه تماماً، فهو ما بين طعم الفُطر المزروع مع كونه يوجد طبيعياً غير مستزرع وهم يحبونه ويفضلون أكله وقد أكلنا منه حتى أكثرنا.

وجاءت الصحون تترى وكلما ضاقت المائدة بها حملت المضيفة

بعضها وأحضرت بديلاً عنه نوعاً آخر ومن ذلك صحن من عروق البامبو، والبامبو- كما هو معروف: قصب غليظ ينبت في البلدان الاستوائية والبلدان المطيرة، وتتخذ منه المنازل مثلما تتخذ من الخشب، ولكن أهل الصين اتخذوا من عروقه البيض خضاراً يأكلونه كما نأكل نحن الكوسا والباذنجان مثلاً، وأحضروا معه في الصحن بعض الفطر الأبيض المستنبت عندهم.

وجاءوا بالفاكهة في وسط المائدة كما اعتادوا وهي هنا معلبة كلها إذْ لا توجد الفاكهة طازجة الآن في مقاطعتهم وهي قطع من الأناناس واليوسفي الذي يسمى في المغرب العربي المندرين.

وأما اللحوم فإنها متنوعة من ذلك سمك نهري جيد، إلاّ أنه عابه عندنا كونه وضع عليه ما يشبه الصلصة الحمراء ولكن بطعم حلو كطعم السكر، كما أحضروا مقادير قليلة من لحم البقر الجيد، ودجاجة واحدة محمرة، ولكننا لم نستطع أكلها لكثرة الأنواع وإنما أكل أصحابنا منها قليلاً.

ومن الخضار الغريب الذي قدموه نوع يسمونه الشعري لأنه في هيئة شعر الإنسان أسود ذو خيوط دقيقة طويلة ذكروا أنه ينبت طبيعياً في الجبال والتلال ولا يزرع وإن الناس يحرصون على أكله وبخاصة في الشتاء، حيث لا توجد خضرات طرية.

كما أحضروا بذوراً لنبات ذكروا اسمه ولم نعرفه محلات بالسكر ذكروا أنها مفيدة للصحة.

ولا شك في أن الأكل الجيد كله مفيد للصحة.

أما الخبز فإنهم قدموه قبيل انتهاء المائدة وهو الخبز الصيني

المعروف لنا من قبل الذي لونه لون العجين الأبيض لا يختلف عنه في شيء ولذلك لم نمسه ويصنعونه كراتٍ بيضاء وفي بعض الأحيان يصنعون على هيئة كرات من الحبال.

كما أحضروا (المانتو)، وهو طعام عرفناه في الحجاز من إخواننا البخاريين يشبه السنبوسك لكونه يحشى باللحم الدسم، ولكنه يغلي غلياً فيسلق سلقاً بدلاً من أن يقلى كما تقلى السنبوسك.

ثم جاءوا بمسك الختام للطعام وهو عندهم الشربة الدسمة، ولم أذقها، وقلما ذقتها لأننا نكون قد اكتفينا بالأطعمة اللذيذة المتنوعة قبلها.

الاستقبال الحافل:



جزء من صفوف النساء المسلمات من المستقبين في خوخاخوت

ثم كان الذهاب إلى المسجد الجامع الكبير حيث ذكروا أنه سيكون هناك اجتماع بأئمة المساجد ومن يسمونهم الخلفاء- جمع خليفة- ويريدون بهم طلبة العلم.

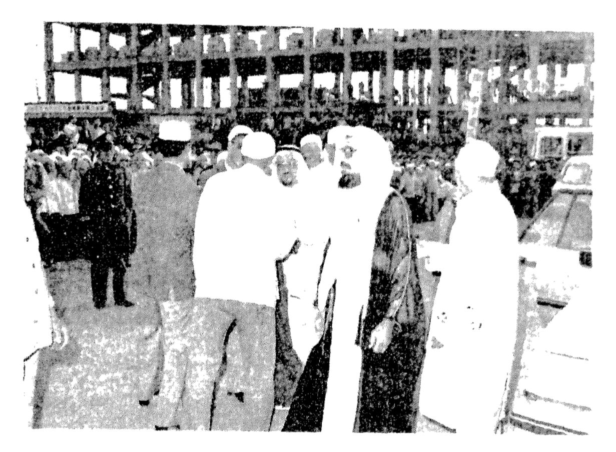
لم يكونوا ذكروا لنا شيئاً عن جموع المسلمين المحتشدة أمام المسجد الكبير وفي ساحاتها واسعة أمامه، وإلا لكنا أخذنا للأمر أهبته وصورناهم ونحن نمر من بينهم.

فقد فوجئنا عندما قربنا من الجامع بوجود عدد كبير من رجال الأمن معهم طائفة من الجنود وقد وقفوا يمين طريق السيارات ويساره، وخلفهم الجموع الحاشدة من المسلمين الذين أقدر عددهم بأربعين ألفاً، يضاف إليهم طائفة من غير المسلمين من أهل البلاد مثلهم أو أكثر منهم من غير المسلمين حضروا بدافع الفضول، ومن باب الاطلاع على ما يجري في ذلك الاجتماع.

وقد اصطف المسلمون صفاً طويلاً حتى الجامع خلفه كُتَل من الناس بعضهم احضروا أشياء ترفعهم عن الأرض حتى يستطيعوا أن يروا إخوانهم القادمين من مكة المكرمة دون أن يحجبهم من قبلهم.

وجعلوا للنساء صفاً على حدة خلفه آلاف من النساء كما جعلوا للبنات صفاً وحدهن أي منفرداً عن كبيرات السن وخلفهن آلاف مثلهن غيرهن.

أما الشبان فإنهم اختلطوا بالرجال وحتى أطفال المسلمين كانوا قد أحضروهم معهم ليشهدوا هذا الاحتفال باليوم العظيم عندهم الذي يستقبلون فيه أول زوار لبلدهم جاءوا من جوار الحرمين الشريفين، ومن مهابط الوحي في مكة المكرمة والمدينة المنورة.



عند مسجد خوخاخوت بمنغوليا الداخلية

وغلبنا التأثر خاصة عندما تجاوزت السيارة بعض الواقفين والواقفات الذين ذكروا أنهم كانوا واقفين من منتصف النهار في انتظار أن يشاهدوا الزوار، ولو كان لنا من الأمر شيء أو عرفنا به من قبل لأوقفنا السيارة عند أول إنسان من هؤلاء الإخوة المسلمين الواقفين وصافحناهم أو على الأقل أشرنا إليهم بالسلام، لأنه تبين فيما بعد أن في مصافحتهم خطراً كبيراً علينا إذْ كانوا يحاولون أن يندفعوا بكل قواهم إلينا وهم كتل متراصة فكان أن وقف الضباط والجنود ومضيفونا يحولون بيننا وبينهم خوفاً على حياتنا أو خوفاً علينا من ضرر لا يستطيع حتى مستقبلونا الذين يحرصون على مصافحتنا أن يتلافوه، لأن الذين خلفهم يدفعونهم من غير أن يستطيعوا لذلك دفعاً.

ولقد تأثرت وأنا أرى بعضهم وأسمعه يرحب والكلمات تختنق في حلقه إذْ انفجر بعضهم يبكون من فرط التأثر.



اللافتات على جامع خوخاخوت لمناسبة قدومنا

وقد ملأوا المنطقة بلافتات عربية جميلة ذكر لي فيما بعد أنهم كانوا يعملون في كتابتها وتزويقها فهي كبيرة منذ أسبوع.

وبعض الذين يعرفون كلمات من العربية كانوا يقولون ويرددون ما يقولونه: مرحباً مرحباً ثم يغلبهم التأثر فيبكون.

وقد زاد الموقف تأثيراً في نفسي أنهم ألبسوا صبيانهم وأطفالهم قلانس أي طواقي بيضاء مثلما ألبسوها كبارهم، وذلك شعار المسلمين في الصين مما حول هذا الاستقبال إلى أشبه ما يكون بالمظاهرة الإسلامية قليلة النظير في هذه البلاد.

وأردت أن أخرج المصورة وليس هذا أوان إخراجها، لأن ضابط الشرطة والمرافقين كانوا قد ألفوا حولي سداً منيعاً من أجسادهم يمنع هذه الكتل البشرية الضاغطة من التقدم.

في الجامع الكبير:

تنفس إخواننا المستقبلون والمرافقون الصعداء عندما دخلنا الجامع الكبير لأنهم شعروا أننا قد أصبحنا في أمان من اندفاع المسلمين المشتاقين إلى إخوانهم الذين أحسنوا الظن بهم.

وكان المسجد أيضاً قد ملئت حيطانه باللافتات التي تحمل الترحيب، وإظهار البهجة بمجيء الضيوف من بلاد الحرمين الشريفين.



عند الترجل من السيارات أمام جامع خوخاخوت

لبثنا نسير فيه مع مرافقينا ومستقبلينا الذين كانوا يحفون بنا، والمسجد يدخل إليه من ممر طويل يحاذي المسجد الرئيسي المصلى، لأن هذا المسجد كأكثر المساجد في الصين تتبعه أفنية وملحقات على هيئة غرف وقاعات.

فأداروا صوت مكبر جهوري الصوت كانوا قد أعدوا سماعاته من قبل بالتكبير فكان يقول: الله أكبر، الله أكبر، اشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله.

وقد تخلصنا من ضغط الجموع الحاشدة المستقبلة التي بقيت في أماكنها خارج المسجد لأنهم أغلقوا بابه دونها ولأن الضباط والجنود كانوا يمنعونهم، إلا الذين كانوا معنا من أئمة المساجد- كما وصفوهم- ومن الخلفاء أي طلبة العلم، ومن العاملين في الجمعية الإسلامية، وبعض المثقفين من المسلمين لا يزال كبيراً.

فاخترقنا فناء المسجد دون وقوف حتى دخلنا قاعة كبيرة مستطيلة ملحقة بالمسجد، يفتح بابها إلى فنائه.

الحفل الخطابي:

وإذا بهم قد أعدوا فيها لحفل خطابي أحضروا له مصوري التلفزة ومصورين صحفيين.

فكان أن أجلسونا في صدر هذه القاعة على يساري الحاج (علي جنغ ده خه) رئيس الجمعية الإسلامية وقد شغلت بقية المقاعد بذوي الشأن عند المسلمين منهم.

وأمام المقاعد كانت موائد حافلة بما غلا وندر من الفاكهة والنقول المستوردة إلى هذه المقاطعة كالموز والمشمش واليوسفي والحلوى واللبن

الرانب والأشربة الغازية والمثلجات (الأيس كريم) والى جانب ذلك الشاي الصيني المعهود.



واجهة جامع خوخاخوت وأمامه منصة

وبعد السلام وكلمات الترحيب من الحاضرين ألقى رئيس الجمعية الإسلامية في هذه المقاطعة الحاج (علي) رئيس الجمعية كلمة قصيرة مكتوبة تضمنت الترحيب ونوه بكوننا أول وفد إسلامي يزور هذه المقاطعة وأشار إلى العلاقات الوثيقة التي تبربط بين مسلمي الصين الشعبية وبين رابطة العالم الإسلامي.

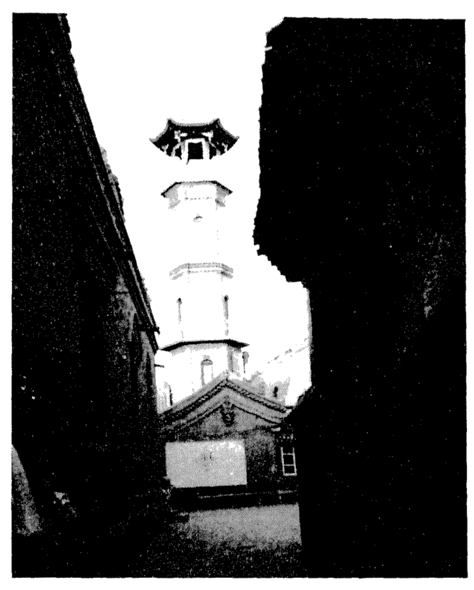
كما أعرب في كلمته عن تأييد المسلمين الصينيين لحقوق الشعب الفلسطيني، وقال: إننا نؤيد نضال الإخوة الفلسطينيين بكل ما أوتينا من قوة.

وقال في ختام كلمته: إن السيد (عيسى ساو دنغ) نائب رئيس الجمعية سوف يلقي كلمة مبسوطة يوضح فيها أحوال المسلمين في هذه المقاطعة بالتفصيل.

كلمة نائب رئيس الجمعية:

ألقى نائب رئيس الجمعية الإسلامية كلمة مبسوطة مكتوبة أيضاً ولكنها بالصينية وكان يترجم ما يدور من الكلام من الصينية إلى العربية وبالعكس الأستاذ (مصطفى يانغ بوه) الذي كان مرافقاً لنا طيلة جولتنا هذه في الصين جزاه الله خيراً.

وقد بسط الأخ عيسى القول في بعض الأمور التي تهم الباحث في أمر المسلمين في هذه المقاطعة، وإن كانت مثل كلمة رئيس الجمعية ذات طابع يتسم بالطابع الرسمي أحياناً، مثل العبارات التي تحث على السلام العالمي والصداقة وهي عبارات صارت ممجوجة في الأذان بعد أن أكثر الشيوعيون من استعمالها دون أن يطبقوها على أنفسهم كما يحدث الآن في أفغانستان حيث يحارب الاتحاد السوفيتي بعدته وعتاده الشعب الأفغاني في الوقت الذي يدعي فيه الحرص على السلام والصداقة مع الشعوب وبخاصة الشعوب المجاورة، ومما يجدر ذكره أن الصين الشعبية تنكر ذلك على الاتحاد السوفيتي وتنادي بسحب جيوشه من افغانستان وإن كان ذلك لأغراض لا تخفي وهذا هو ما جاء في كلمة نائب رئيس الجمعية الإسلامية:

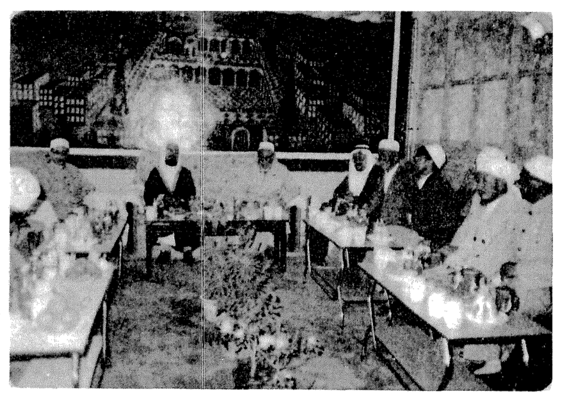


من النافذة لجزء من مدينة خوخاخوت

تحدث المذكور عن ترتيب وفرحة المسلمين في منغوليا بالزيارة وقال: إنما المؤمنون إخوة من هذا المبدأ القرآني نرحب بكم وبقدومكم من مكة المكرمة، وقال: دخل الإسلام إلى هذه المنطقة منذ ٣٠٠ سنة ويبلغ عدد المسلمين ١٧٠ ألف نسمة ينتشرون في كل أنحاء منغوليا ويبلغ عددهم في العاصمة خوخاخوت ٢٨ ألف نسمة، ومثل هذا العدد يوجد في بودو، وينتمي المسلمون إلى قوميات خوي والأريفور والمغول وأكثرهم من قومية خوي ويوجد ١٣٦ مسجداً في منغوليا ويبلغ عدد الأئمة ٢٦٩

إماماً إلى جانب ١٤٥ طالباً يدرسون العلوم الإسلامية في المساجد، ويقوم المسلمون بدفع أجور ونفقات هؤلاء الأشخاص، وكذلك تقدم الحكومة المحلية أحياناً المساعدة المالية، فقد قدمت الدولة ٩٠٠ ألف يناً لترميم المساجد ورواتب الأئمة في السنوات الأخيرة بعد الثورة الثقافية.

عدد المسلمين في خواخوت يبلغ ٢٨ ألف ويسكنون في هذا الحي خو جو (Hui chou) ومعظم الرؤساء والمسئولين في هذا الحي هم من المسلمين، وفي هذه المدينة خواخوت توجد أربعة مساجد مفتوحة، كما لا يزال بها ثلاثة مساجد تحت الترميم ويتوفر لدينا ١٥ إماماً و٧٥ طالباً في العلوم الإسلامية، والمسلمون يؤدون فرائضهم الدينية فبعضهم يأتي للمسجد وبعضهم من الشيوخ يصلون في منازلهم وفي شهر رمضان المبارك يقدم المسجد وجبات إفطار للصائمين مجاناً كما تؤدى فيه صلاة التراويح.



أثاء حفل الاستقبال في جامع خوخاخوت على يميني الشيخ رئيس الجمعية الإسلامية في منغوليا

وقد حج خمسة أشخاص من منغوليا ضمن بعثات الحج الصينية وسيسافر هذه السنة اثنان منهم لأداء فريضة الحج.

وتتحسن في هذه السنوات معيشة المسلمين وأحوالهم فمنهم من يقدم الزكاة عن طريق المساجد، وكذلك يهتم المسلمون بتربية أبنائهم بالعلوم الإسلامية في فصول دراسية بالمساجد، وقد بلغ عدد الطلاب الدارسين ٤٠ طالباً.

ويقوم الأئمة بالإضافة إلى إمامة المصلين في الصلاة بتجهيز وتشييع الجنازة وعقد عقود الأنكحة الشرعية في المساجد بعد التسجيل الرسمي للزواج في مكاتب الدولة.

إنتهى كلامه.

وقد ألقيت كلمة رداً على الكلمتين ولمناسبة هذا الاجتماع الحاشد تضمن كلامي الشكر على الترحيب وعلى المعلومات التي سمعناها هنا عن أحوال المسلمين وأبلغتهم تحيات وسلام إخوانهم المسلمين في الرابطة والعالم ورغبتهم في معرفة أحوال المسلمين في هذه البلاد ثم تكلمت عن اهتمام الرابطة بهم وبمساعدتهم وتوثيق العلاقات بهم عن طريق الزيارات والاتصالات بهم واستعدادها لتقديم العون لهم لترميم وبناء مساجدهم إذا جاءت طلباتهم إلى الرابطة بواسطة الجمعية الإسلامية الصينية المركزية، كما أن الرابطة على استعداد لتزويدهم بالكتب الإسلامية وفي النظر في توفير منح دراسية لأبنائهم.

ثم كررت الحث لهم على تربية وتعليم أبنائهم وأطفالهم أحكام وتعاليم الإسلام حتى يكون في ذلك استمرار لوجودهم الإسلامي الذي بدأه آباؤهم منذ مئات السنين.



لوحة ترحيب على واجهة المسجد الخارجية وسط المستقبلين في خوخاخوت

وأنهيت كلامي بالدعاء لهم بالخير وبأن يقدر الله الاجتماع بهم مرة ثانية هنا وفي جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

هذا وكنت أتأمل القاعة وما فيها إبان الحفل الخطابي، فأجد رسماً كبيراً للمسجد الحرام يغطي جهة منها كاملة، ولكنه للمسجد قبل التوسعة السعودية الحديثة التي بدأت قبل ثلاثين سنة، وقد حافظوا على هذه الصورة إذْ لم يتيسر لهم الحصول على صورة حديثة للمسجد الحرام بعد التوسعة التي غيرت مظهره تماماً.

كما أتأمل ملابس الإخوة الموجودين في القاعة فلا أرى منهم حاسر الرأس أبداً، وإنما عليهم العمائم البيض ذات الذوائب المرخاة، خلف الرقبة إلى ما بين الكتفين، والقلانس البيض وحدها، كما لم أر منهم من يرتدي الزي الأفرنجي إلا واحد هو الأستاذ (سليمان عبدالعزيز ساو تاجو نغ) كما سمى لي

نفسه، وهو يتكلم العربية جيدا، ويشبه المصريين تماماً في تقاسيم وجهه وفي بعض تصرفاته كسرعة الضحك لما لا نرى أنه يستحق أن يضحك منه.

ولما داعبته بقولي له: أأنت مصري الأصل؟ أجاب: بل أستاذي الذي درست عليه العربية هو مصري كان مدرساً في المعهد الإسلامي في بكين عام ١٩٦٠م.

وذكر أنه عمل مدرساً في معهد اللغة العربية الذي أنشئ في (تونغ شين) الواقعة في مقاطعة كان سو وكنا زرناها المرة السابقة، وذكرت ذلك في كتاب (داخل أسوار الصين) وقبل إنشاء ذلك المعهد الذي ذكر أنه أنشئ في عام ١٩٨٥م، ثم هو الآن مدرس لطلبة العلم هنا في منغوليا، فالشيخ سليمان هو الوحيد الذي يلبس الزي الإفرنجي، ولكنه يضع على رأسه قلنسوة أي طاقية بيضاء.



البوابات الخارجية لجامع خوخاخوت

غرس الشجرة التذكارية:

استمر الحفل الخطابي حتى أزف الوقت لصلاة المغرب والشمس تغرب هنا في الثامنة والنصف وبضع دقائق وعند نهايته كانت الفقرة التالية غرس شجرة تذكارية عند باب المسجد من أجل تذكر زيارتنا لهذه المقاطعة كما قالوا.

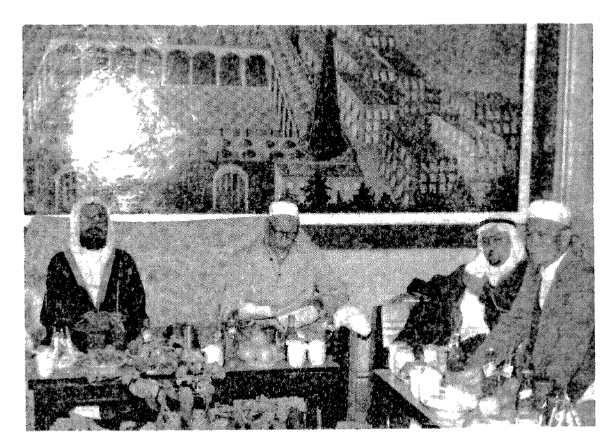
ولاشك في أن غرس الشجرة شيء مطلوب في أي مكان، وأما التذكار فإن المطلوب منهم هو إبقاء الصلة: وعدم انقطاع الأثر، وهذا يتم بأشياء أنفع من غرس الشجرة، وربما يكون أبقى منها على الدهر مثل العمل على إرسال المعونات التي يحتاج إليها في تعمير المساجد، وإعطاء المنح الدراسية لأبناء المسلمين للدراسة العالية في كليات البلدان الإسلامية وبخاصة العربية منها.

فخرجنا من مكان الحفل الخطابي إلى خارج باب المسجد فرأينا جمع المسلمين من رجال ونساء لا يزالون موجودين عند باب المسجد ولا أدري أكانوا يستمعون إلى الحفل الخطابي أم لا، لأنه كان من مكبر للصوت، ولكني لا أدري إلى أين يبلغ.

وأرونا شجرة يبلغ ارتفاعها إلى صدر الرجل من أشجار البلدان الباردة، وجعلوني أغرسها أحثوا التراب على جذعها بالمجرفة، وهم يساعدون على الإمساك بها.

ثم أحضروا الماء فسقيتها.

وهكذا انتهى غرس الشجرة بسرعة حسب ما أراده الضباط المسؤولون عن الأمن لأنهم كانوا يخافون من ازدحام الناس علينا، فينفلت الأمن.



الحديث في مسجد خوخاتون

الصلاة في الجامع:

وهنا كان وقت المغرب قد حان، فصدح المؤذن بالآذان، فاستجابت لأصدائه الجموع من الذين كانوا معنا داخل الجامع، وأما من كانوا خارجه من رجال ونساء فإنه كانوا يمنعونهم من الدخول إلى المسجد، وقد آلمني ذلك مما جعلني أسأل بعض الإخوة المرافقين فيقول: إن السبب في ذلك هو طلب الأمن والمحافظة عليكم.

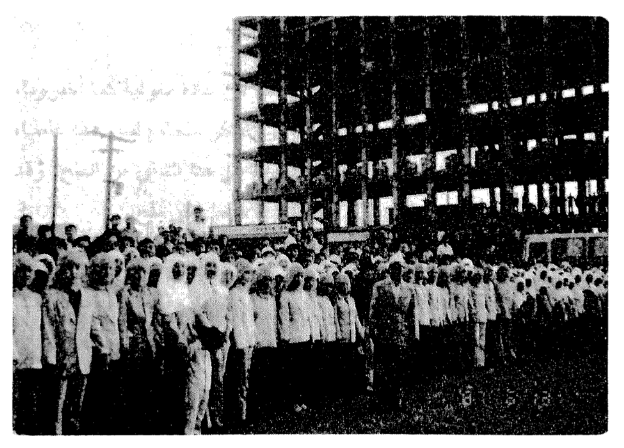
وخيل إليَّ أن منارة الجامعة العظيمة العالية جاوبت النداء أيضاً وهي ترى أقواماً جاءوا من جوار الكعبة المشرفة وصلوا تحت منارات المسجد الحرام، وإذا لم تكن المنارة قد فعلت ذلك فإن الإخوة المسلمين قد فعلوا ما هو أكثر منه على اليقين.

فدعوني للصلاة فيهم فأبيت، وقلت لهم: لا أتقدم على صاحب البيت، وأنا أريد من ذلك أن أرى كيف يصلون، وكيف يقرءون، وماذا هم فاعلون بعد الصلاة.

فتقدم الأخ الشيخ (...) فصلى بنا صلاة موجزة ولكنها كاملة فالقوم هنا من أتباع المذهب الحنفي الذي لا يرى أن الطمأنينة شرط من شروط الصلاة.

ولكنها كانت والحق يقال صلاة مؤثرة خاشعة لا اعتقد أنها تمحى من ذاكرتي على الأيام.

ولم يفعلوا بعد الصلاة إلا أدعية سرية كان الإمام يفتحها بكلمة جهرية مفهومة مثل الحمد لله رب العالمين ثم يظل يدعو سراً والقوم يدعون سراً كذلك ربما يظهرون أنهم يتابعونه وإن كانوا لا يسمعون ما يقول ثم يقول جهراً الحمد لله رب العالمين، أو اللهم صلِّ على محمد.



صف من الشابات المسلمات في استقبال وفد الرابطة في خوخاخوت

وهذا دعاء غير طويل، ومعه صلاة النافلة من الجميع، ولم يتخلف منهم أحد عن أدائها حتى كأنها في ذلك صلاة الفرض، وإن كان كل واحد منهم يصلي منفرداً.

وخرجنا بعد المغرب من المسجد ولا تزال جموع المسلمين من رجال ونساء متجمهرة عند بابه فودعناهم بالإشارة إذ لا سبيل إلى المصافحة لكثرتهم والخوف من انفراط الأمن بينهم.

وعدنا إلى الفندق.

يوم الأحد: ١٨ شوال ١٤٠٧هـ:

وفطور منغولي:

ومرة ثانية نقول: إن منغولية هذه جاءت من كونه في (منغوليا) بلاد المغول، وربما ليس لكونه قد صنعه المغول، على أن المضيفة التي قدمته هي مغولية خالصة.

ونحن نريد بذكر هذه الأشياء مجرد تسجيلها وذكرها دون أن يشعر ذلك بمدح أو بذم، إذْ لو أردنا المدح أو الذم لسبب يوجبه لكان في استطاعتنا أن نفعل، وهنا نرجو أن نشعر بالمدح لكرم إخواننا في الضيافة.

أولى الغرائب في هذا الفطور هو الشاي مع الحليب على مائدة صينية، فالقوم في الصين غالباً ما يشربون الشاي ساذجاً خالياً من أي شيء كما قدمت.

وأما وجود الحليب مع الشاي فإن ذلك من عادة مغولية كما أخبرونا، إلا أن الغريب فيه أنهم وضعوا فيه بدلاً من السكر ملحاً، وليس هذا غلطاً، لذلك جاءوا بالمزيد من الملح لمن لا يكفيه ما في هذا الشاي من الملح، وقد فعل إخواننا المرافقون الصينيون ذلك فزادوا ملحاً على ملح.

أما نحن فقد ذقناه، فما استطبناه، وطلبنا أن نعطى شاياً خالصاً أحمر إذا تيسر، فتيسر الشاي الأحمر الخفيف، وتيسرت معه قهوة خفيفة جداً وهي المعروفة في الصين، على قلة استعمال الصينيين للقهوة على وجه العموم، وقهوتهم إذا جاءوا بها فإنها بدون سكر مثل قهوتنا، ولكنها في قلة القهوة وكثرة الماء ليس لها مثل إلا ما قاله أحد ظرفاء العامة في بلادنا عندما رأى مثلها هي ماء البئر (تحررونه وتمررونه) أي تجعلونه حاراً

مرا، وإلا فهي الماء الخالص من البئر الذي لا يختلف عن ذلك بشيء.



المؤلف يتكلم في حفل الاستقبال ممسكاً بالمكبر على يساري رئيس الجمعية الإسلامية في خوخاخوت

ومع القهوة والشاي حساء أي شوربة من الرز، وقليل من لحم البقر ولم نمسه، لأننا كنا قد أكثرنا من اللحم والسمك البارحة.

ثم جاءوا بالحليب الخالص الحار وقد حلب لتوه، ولم يدخله مسحوق، ومعه أحضروا بيضاً مسلوقاً، وشيئاً من المربى، وأما الخبز فإنه الأفرنجي المعتاد.

إلى ريف منغوليا:

وكدت أكتبها (إلى صحراء منغوليا) لأن الريف هو في الأصل الأرض المربعة من ربيع مطبوع أو مزروع ولكنني عدلت عن ذلك حتى أرى من أمر هذا الريف المغولي ما لم أره.

وكنت طلبت من الإخوة ونحن في بكين أن يتضمن البرنامج في منغوليا زيارة للإطلاع على براري هذه البلاد المنغولية البعيدة عن المدينة.

فوافقوا على ذلك ووجدناهم حددوا له الثامنة من صباح هذا اليوم مع النص على أن الفطور لن يكون قبل السابعة والنصف، لأن الموظفين لا يأتون إلى الفندق إلا بعد السابعة فلا يستطيعوا انجازه قبل السابعة والنصف.



في الطريق إلى المخيمات المنغولية في مدينة خوخاخوت

ونصحونا بتغيير اللباس العربي وكنا بحاجة إلى ذلك لكونه يحتاج إلى عناية، وإذا احتاج إلى غسل أو كي لم يحسنوه.

ولكنهم ذكروا لنا أن طبيعة الانتقال في المكان الذي نقصده تتطلب أن يكون اللباس عالمياً وهو المسمى بالإفرنجي، وقالوا: إنه لن يكون هناك

برنامج للمقابلات يستدعي أن تلبس له الملابس الرسمية.

كما ذكروا لنا شيئاً لم يخطر ببالنا وهو أن الجو في المنطقة التي نقصدها بارد لا تكفي فيه الملابس العربية المعتادة ولابد فيه من لبس الصدري (الجاكيت)، وذلك لأنه ذاهب إلى الشمال قليلاً، وهو مرتفع أكثر من موقع العاصمة (خوخاخوت) بكثير.

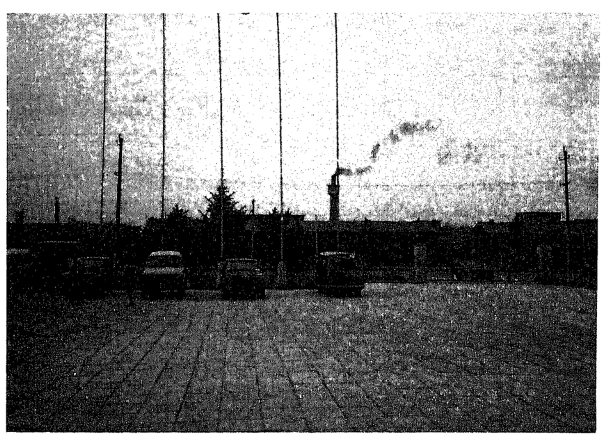
وجدناهم أحضروا حافلة متوسطة فيها مع الأخوين الاثنين اللذين رافقانا من بكين وسكنا معنا في الفندق أحد عشر مرافقاً من منطقة منغوليا الداخلية فنكون نحن خمسة عشر شخصاً في هذه الحافلة.

وأخذنا للأمر أهبته من المصورات وشرائطها وأخذوا هم إلى ذلك مصوراً خاصاً رافقنا طول الرحلة لتسجيلها.

وظللنا برهة راكبين في الحافلة عند باب الفندق دون أن نتحرك وفسروا لنا ذلك أنه انتظار لطعام الغداء سنحمله معنا إلى تلك البرية المغولية.

وانتهزت أنا الفرصة من فناء الفندق الضخم الذي يقع على شارع متوسط ولكنه يعج بالحركة فالتقطت عدة صور للشارع، وللناس الذين هم فيه، وهم ذاهبون إلى أعمالهم، ومن ذلك صورة لمدخنة كبيرة كأنها برج المياه الشاهق وهي لأحد المصانع.

وكان رئيس الرحلة الذي نراه يأمر فيها وينهي، وكان معنا منذ اللحظة الأولى لوصولنا الأخ الشيخ (إبراهيم باي فن مين).



مدخنة كما تبدو من فناء فندق منغوليا

وظل راكباً بجانبي في مقدمة الحافلة يجيب على أسئلتي الكثيرة، ويصبر على فضولي الذي ربما كان لم يعتد عليه، وإن كنت أراه مثل غيره من الإخوة المسلمين في هذه المقاطعة يحرصون، بل يفرحون بتلبية كل ما نطلبه، ولو كان في ذلك ما يشق عليهم، أو على الأقل ما يقلل من راحتهم.

والأخ إبراهيم باي فن مين هو نائب رئيس الجمعية الإسلامية في مقاطعة منغوليا الداخلية هذه، ولرئيس الجمعية نواب عدة كما هي العادة في الصين، وحتى في الاتحاد السوفيتي حيث يكثر النواب لرئيس واحد إرضاء لهم، وربما لتوزيع العمل بينهم.

وهو إمام قديم، إذْ كان قبل الثورة الشيوعية هو إمام الجامع الكبير في (خوخافوت) الذي كنا فيه ليلة البارحة، وهو متقاعد منذ أربع سنين إذْ بلغ

الأربعة والستين من العمر وسن التقاعد في الصين هي الستون.

كما أصبح معنا ممن يحسنون العربية اثنان، إذ انضم إلى ركاب الحافلة الأخ سليمان عبدالعزيز الذي تقدم ذكره قبل قليل.

حول اسم المكان:

تحركت الحافلة في الثامنة والنصف قاصدة (تساو خا) التي تبعد بما يزيد قليلاً عن مائة كيلو متر عن (خوخاخوت) ولكنها في منطقة مغولية خالصة تقع إلى الشمال الغربي من عاصمة المقاطعة وينبغي أن نعرف أن السين هنا ليست سيناً عربية خالصة ولكنها مثل السين التي في الاسم الثاني لزعيم الشيوعية الهالك، (ماو تسي تونغ) فتسي ليست ثلاثة حروف كما يتصورها من لم يعرف اللغة الصينية، وبخاصة فلسفتها في الأسماء التي لا تزيد على حرفين أولهما متحرك والثاني ساكن، جرياً على عادة اللغة الصينية في استعمال المقاطع، وإنما هي حرفان فقط، ولكن الصحفيين والإخباريين الأجانب لم يجدوا في لغاتهم الأوروبية ما يماثل ذلك الحرف فرسموه بأقرب الحروف إليه في النطق وهو السين وزادوا قبله تاء لتوضح أن السين فيه ليست سيناً حقيقية مثلما نفعل نحن في لغتنا العربية حينما ننقل اسم تشرشل أو تشارلس، والحرف الأول منه ليس موجوداً في العربية فنزيده تاء في الكتابة وإن لم تزد في النطق وإنما ينطق به من يعرف النطق الصحيح فيه بالحرف الذي ينطق به في لغته الأصلية وهو حرف (CH) المؤلف من حرفين.

ومثل ما يفعل الإفرنج بكتابة حرف الخاء في (خالد) العربي مثلاً فإنهم يضعون الكاف ومعها الهاء إشارة إلى أن الكاف ليست هي الصحيحة الصريحة الموجودة في لغتهم.

وذلك لأنه لا يوجد في العربية حرف يقابل حرف (ت س) وإنما هو ينطق به بالضبط مثلما تنطق العامة في نجد بالكاف في كلمة (كم)؟ الاستفهامية أو كلمة كثير: ضد قليل، فالعامة لا تنطق بالكاف فيها كافاً صحيحة كالكاف في كلمة (كلهم) مثلاً أو كالكاف في التلاوة القرآنية الصحيحة.

ولو كنت من المشتغلين بالصينيات لأعددت كتابة هذه الحروف الصينية الغريبة إلى لغتنا العربية كما نكتبها إذا وردت في لغتنا العامية إلى اللغة الفصيحة.

لذلك كنت أكتب (ماو تسي تونغ) (ماو كي تونغ).

وهكذا اسم رئيس وزراء الصين في الوقت الحاضر يرسم بالعربية تبعاً لترجمته من الإنكليزية (زهاو) وهذا يعني أنه أربعة حروف والواقع أنه حرفان فقط أحدهما وهو الذي كتب (زه) ينطق به الصينيون كما تنطق العامة في نجد أو بعضهم بحرف القاف في (قربة) أوقليل: ضد كثير، أو...

ولو كنت أيضاً من المديمين للاشتغال بالصينيات لأمرت بإعادة كتابة الحروف الصينية طبقاً لما نكتبه الآن في الفصحى عندما ننقل كلام العوام من أهل بلادنا.

ولاشك في أن أسلافنا من اللغويين العرب قد واجهتهم مثل هذه المسألة، ولا أقول المشكلة فحلوها بما ننادي به الآن وهو أن نكتب الحروف التي ليس لها نظير في الهجاء العربي بما يقرب من الحروف من مخارجها ولا نتصرف فيها فنزيدها حرفاً أو حرفين من عندنا يبعدانها من نطقها الصحيح، ولا يقربانها منه.

وبهذه الطريقة كتب أسلافنا الحروف الخارجة عن نطق الهجاء

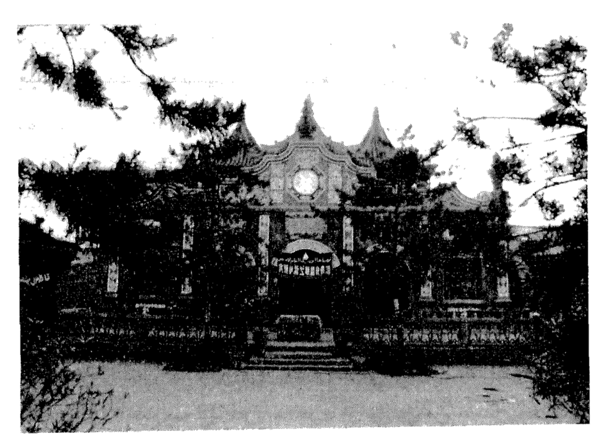
العربي الموجودة في لهجات بعض القبائل العربية مثل كسكسة تميم، وكشكشة ربيعة.

وليس هذا مجال الحديث عنها في هذالالكتاب، وقد أوضحت أمرها في مقدمة كتابي: (معجم الألفاظ العامية) الذي لا يزال مخطوطاً.

في ضواحي خوخاخوت:

أخترقت الحافلة ذلك الشارع الواسع الحديث في وسط الميدان الذي يشبه الميدان الجيد حين يتسع في وسطه.

ورأينا اللافتات في المدينة مكتوبة بالصينية والمغولية، وقد يأتي شيء عن هذه اللغة المغولية وكتابتها ذات الحروف العجيبة خاصة.



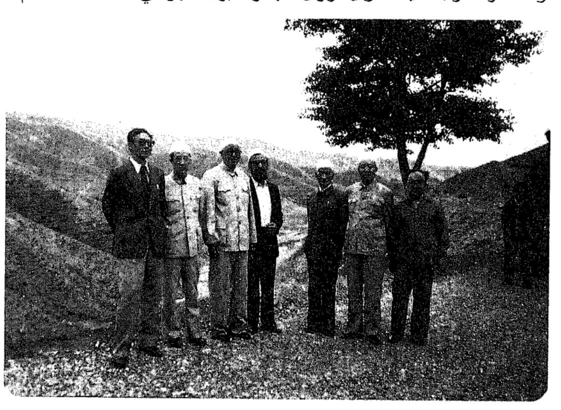
مدخل المسجد الجامع في خوخاخوت (من فناء المسجد)

وشغلت بقراءة نشرة صغيرة بالإنكليزية أعطاني إياها الأخ إبراهيم باي فن مين حين وجدتهم- رسما فيها مسجد الجامع- في مقدمة المعالم السياحية لمدينة (خوخاخوت) وحق لهم ذلك لأنه مكان تاريخي باقٍ على قدمه ومنارته سامقة الارتفاع، غريبة البناء.

فخرجنا بسرعة من المدينة إلى ضواحيها التي تتميز مثلها بوجود أشجار كبيرة من أشجار الظل على الطريق وما قرب منه وليس بينها أشجار مثمرة.

ومررنا في الطريق بحادث تصادم بين سيارتي نقل، وقد تركتا في الطريق فصارت السيارة تخرج إلى الأرض اليابسة المغبرة حتى تتجاوزهما ثم تعود إلى الإزفلت، ولم أر عندها أناساً من الشرطة أو غيرهم.

ثم خرجنا إلى الريف حيث حقول القمح وبعض المزروعات التي تعيش على المطر فقط ولا توجد مياه أخرى تروى منها ولا يوجد نهر في المنطقة كما تقدم.



في صحراء المغول في الطريق بين خوخاخوت وساوخا

على يميني نائب رئيس الجمعية الإسلامية

ومن اللافت للنظر هنا ما رأيناه من عدد كبير من الفلاحين يقارب الخمسة عشر قد تجمعوا على العمل في حوض زراعي صغير بثيابهم النظيفة التي لا تمثل ثياب الفلاحين في البلدان المتخلفة والنامية، بل هي أنظف منها وأحسن.

وهذا منظر تتكرر رويته كثيراً في ريف الصين كله أو أكثره، وذلك لصغر المساحات المخصصة للزراعة لأن كل أسرة تعطي من الأرض ألفي متر مربع فقط.

أما الطريق فإنه أزفلتي متوسط الجودة، وغير واسع.

الجبل الأخضر:

وصلنا إلى أقدام جبل ذكروا اسمه (تشا شن) وفسروه بأنه الجبل الأخضر، فتشا أخضر، وشن جبل.

وخضرته هذه نسبية تلفت النظر في هذه المقاطعة، وإلاّ فإنها لا تكاد تعد خضرة مذكورة في أرض الصين الخضراء الواسعة.

وحتى خضرته التي هي في أوجها الآن فإنما هي خضرة الربيع الناشئة عن ذوبان الثلوج التي كثيراً ما تنفع المزروعات حتى يقع عليها مطر·الصيف وهو قليل أيضاً.

ثلاثة أشهر من تركستان:

أشار مرافقونا وكبيرهم هو الشيخ (إبراهيم باي فن مين) إلى طريق للدواب في هذا الجبل، وقال: من هنا كان يأتي التجار من (شنجاك) يريد تركستان الشرقية للتجارة على الإبل، حيث يقطعون الطريق إلى هنا في ثلاثة أشهر كاملة.

وهي المسافة لسير الإبل ما بين تركستان ومدينة (خوخاخوت) هذه ثم ذكر اسم شيخ هنا تولى منصب نائب رئيس الجمعية الإسلامية في (خوخاخوت) وقال: هو ايغوري جاء بنفسه على بعير إلى هذه المدينة أكثر من مرة يقطع في كل مرة الطريق في ثلاثة أشهر، ثم طاب له المسكن هنا.

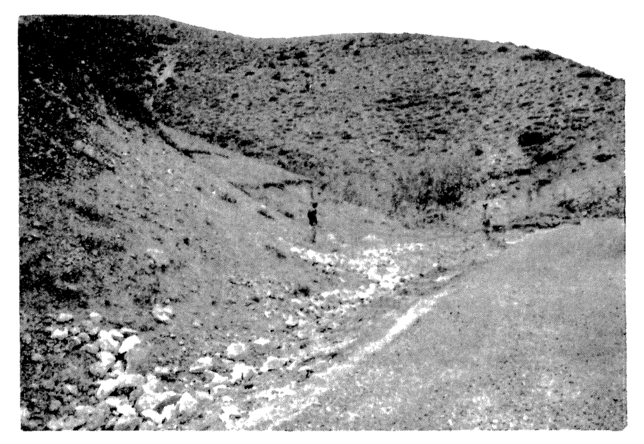
والظاهر أن التجار التركستانيين الذين يأتون إلى هنا كانوا يفعلون ذلك قبل نشوب الثورة الثقافية التي أطاحت بها الشيوعية في البلاد، وحرمت كل نشاط رأت أنه يتعارض مع المبادئ الشيوعية.

والإبل التي ذكرها هي ذوات السنامين، وهي الإبل التي تستطيع العيش في هذه البلاد الباردة وهي التي رأيناها في تركستان الشرقية، مع رعاة من بدو القازاق، كما رأيناها في مقاطعة كان سو إحدى مقاطعات الصين الشمالية الغربية.

ولك أن تتصور البعد الهائل لهذه المنطقة المغولية إذا تصورت حقاً السفر على الإبل لمدة ثلاثة أشهر في هذه الصحراء الواسعة التي يشتد فيها البرد في الشتاء حتى يخيل إليك أنك في سيبيريا أخرى.

وبخاصة إذا تصورت مبدأ السفر وأنه من تركستان الشرقية التي تقع شمال جبال الهملايا وشرقها أو لنقل ما هو الصحيح الدقيق وهي أنها بعد جبال الهملايا بالنسبة إلى بلادنا، ولا تبعد (سيبيريا) المتجمدة عنها أكثر من ألف كيلومتر.

ورأينا عند أقدام الجبل وادياً نازلاً من الأماكن المرتفعة يقصد السهل وهو جاف مثل الوديان في صحرائنا العربية ليس فيه غير الحصباء والرمال في الوقت الحاضر، وعليه جسر مدفون أكثره لعبوره دون أن تغرز السيارات في رمله.



جانب من التلال شبه الطينية في منغوليا

قبر جنكيز خان:

وتحدثوا عن قبر زعيم المغول الهالك الذي جر البلاءَ والعناء على بلادنا العربية، وغيرها من بلدان المدنية عندما قاد المغول غرباً فصاروا يكتسحون البلاد، ويقتلون العباد، وينشرون الفساد الذي هو الخراب والدمار، فذكروا أنه لا يبعد إلا حوالي أربعمائة كيلو متر عن مدينة (خوخاخوت) في بلدة تسمى (سي تساو من).

ولك أيضاً- أن تتصور المسافات الهائلة التي قطعها المغول حينما اتجهوا غرباً إلى البلدان العربية وهي تبلغ مسافة ثلاثة أشهر للإبل حتى تصل إلى تركستان البعيدة والإبل يوم ذاك هي الوسيلة الرئيسية للنقل إلا أن إبلهم لا تستطيع العيش إلا في جواء شبيهة بجوائهم، أي ذات جو صحراوي بارد.

وقد نقلوا جثمان (جنكيزخان) من مكان آخر فدفنوه في هذا المكان الذي لا يبعد عن (خوخاخوت) إلا أربعمائة كيلو، لأنه يعتبر بلاده الأصلية، وأعادوا دفنه أو ما بقي منه هناك وشيدوا عليه بناء ضخماً أرونا صورته.

وكل هذا الذي فعلوه إنما هو إعجاب بذلك الرجل الذي أسس لهم مجداً زعموه باقياً على الدهر، والشيء الحقيقي فيه أنه أسس مملكة مغولية لم يوجد لها نظير في سعتها في تاريخ المغول كله.

ولكنهم لم يذكروا على أي أساس أنشأ تلك المملكة، التي قسمها قبل موته بين بنيه الأربعة كما سبق.

إن الذي يعجب له المرء مثلي من الذين قرأوا تاريخ المغول ثم رأوا بعض بلادهم وتصوروا بقيتها من حيث السعة وصعوبة المعيشة فيها هو أن المغول لم يكونوا عندما قاموا بتلك الغزوات أمة متحضرة لديها معلومات كافية عن الجهات التي تغزوها فضلاً عن أن تكون تعرف كل شيء عن أهلها، وإنما انطلقوا يغزون ويدمرون ويخربون ويقتلون حتى قيل إنهم قتلوا من أهل خوارزم وحدها أكثر من مائة ألف.

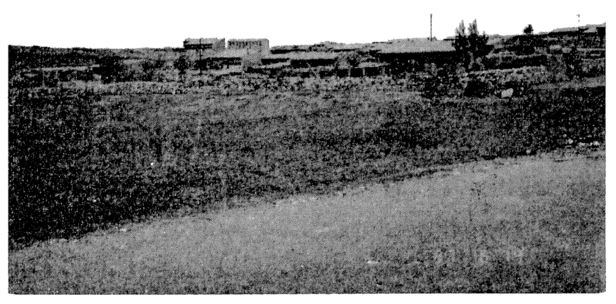
والواقع أنهم لا يمكنهم استمرار المدد بالرجال والخيول والسلاح من بلادهم هذه الصحراوية النائية، ولذلك لو كانوا لاقوا أمة مستعدة للقتال مثل استعدادهم له لهزمتهم أقبح هزيمة، لأنهم لم يكونوا ليرجعوا إلى أماكن آمنة من بلادهم يستعيدون فيها قوتهم، ثم يعاودون الكرة على أعدائهم.

ولكنهم- في الواقع- لاقوا أقواماً أفسدتهم المدنية، وركنوا إلى الدعة والرخاوة، وطال عهدهم ونسيانهم الحرب والقتال، فصاروا كالجسم الضعيف المعرض للغزو والجراثيم والأمراض.

وعلى عكسهم أولئك المغول الذين ليس وراءهم من بلادهم إلاّى تلك الصحراء النائية الباردة الصعبة التي لا يعيش فيها إلا قوم لم يعرفوا بلاداً معتدلة مناسبة.

بيوت الطين:

معظم البيوت التي نراها الآن في هذا الريف على قلتها هي مبنية من الطين بسقوف ممالة إلى جهة واجدة وليست مسنمة، وهذه هي الطريقة التي رأينا عليها بيوت الريف في تركستان الشرقية وفي داخل مقاطعة كان سو في الشمال الغربي من الصين.



قرية طينية عدا سورها في ريف منغوليا

والسبب في ذلك أن هذه المناطق لا تعتبر كثيرة المطر، لذلك تعيش فيها البيوت التي تبنى من الطين، غير أنها كلها تشترك في كونها مناطق

تسقط عليها الثلوج في الشتاء، لذلك يميلون سقوفها إلى جهة واحدة حتى تسهل إزاحة الثلج عنها إذا تراكم عليها.

وحتى البيوت الجديدة هنا فإنها كلها من الطين، وبعضها رأيناهم يبنونه من الطين، ولم يكتمل بناؤه بعد.

فهي هنا بخلاف البيوت التي في ضواحي العاصمة حيث لا توجد البيوت الطينية إلا قديمة وأما الحديثة فإنها بالآجر أو تكون أبنية أسمنتية ضخمة.

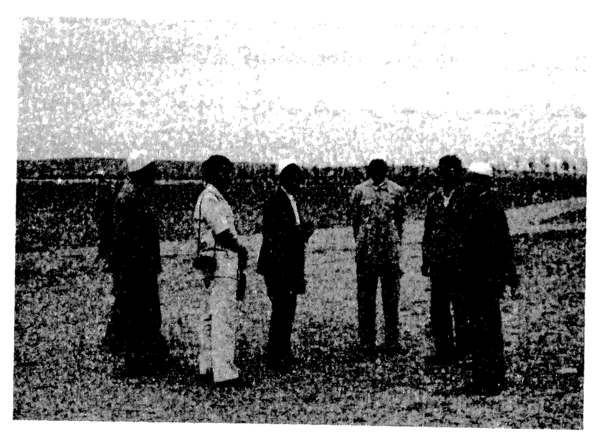
ومع ذلك رأينا في هذا الريف فرناً لصنع الآجر بحرق الطين، مما يدل على الرغبة عن الطين إلا إذا كان يرسل ما ينتجه من الآجر إلى المدينة.

وصعد الطريق إلى الجبل الذي تبين لنا عندما قربنا منه أنه ليس جبلاً من الحجارة الصلدة، وإنما هو طين وحصى صغار.

فهو بهذا يشبه التلال الطينية الشهيرة في مقاطعة كان سو التي ذكرت ما رأيته منها في كتاب: (داخل أسوار الصين)، إلا أنها هنا ليست طيناً خالصاً وإنما قد خالطته حجارة.

ورأيناهم يصلحون الطريق في عرض الجبل، وأمام كل فرقة من فرقتين رأيناهما في الطريق وقفت فتاة نضرة الوجه تومي بعلم بيدها للسيارات أن تتمهل أو أن تقف، وتبين أن تلك الفتاة هي مهندسة أو مسَّاحة لأننا رأينا معها مقياساً للمساحات والعمال يعاونونها في العمل.

ووقفت السيارة مع سيارتين كانتا قبلها عندما طلب العمال ذلك لأنهم كانوا يشتغلون في الطريق كله في هذا الجزء منه وكانوا يفرشون حصى صغاراً جاءوا به على ظهر جرار زراعي ويفرغونه منه بالمساحي والمجارف، ويسوونه في الأرض قبل وضع الأسفلت عليه بالمجارف أيضاً.



في صحراء منغوليا المعشبة مع بعض المرافقين

وهذه طريقة بدائية في رصف الطريق وسببها عدم توفر المعدات والسيارات الضخمة الحديثة التي تستعمل في شق الطرق أو إصلاحها كالموجودة في بلادنا، ومن مظاهر التخلف في إصلاح هذا الطريق أنني رأيتهم يوقدون على الأسفلت بالحطب من أجل إحمائه قبل صبه على الطريق.

أربعون درجة تحت الصفر:

كان وقوف السيارات في انتظار فرش الحصا في الطريق فرصة للنزول منها والسير في هذا الجو الغريب من عرض هذه الجبال أو التلال المغولية فرأيت أن الجو قد حَسُنَ بلغتنا وإن لم يكونوا يرونه هم كذلك، لأن الأحسن عندهم أن يكون أدفأ من ذلك.

وذكروا بهذه المناسبة أن المعتاد أن تنزل درجة الحرارة أو البرودة إن شئت أن تقول إلى أربعين درجة مئوية تحت الصفر، وأن هذا هو المعتاد في مثل هذه المنطقة الجبلية.

ولم أعجب لذلك لاسيما عندما رأيت خيمة منصوبة للمهندسين أو العمال الفنيين المشرفين على إصلاح الطريق، وقد خرجت من أعلاها مدخنة كمداخن المدافئ مما يشعر بأن البرودة هي الغالبة في هذه البلاد في أكثر شهور السنة، فهذه المدخنة التي تدل على المدفأة هي عندهم كمكيف الهواء الذي يبرد الخيام في الصحراء إذا كان فيها مهندسون يقضون الصيف هناك، وكانوا في مكان بعيد عن القرى والعمران.

وكان الموضع الذي وقفنا فيه مناسباً جداً فعلى يمين الطريق يوجد وادٍ عميق جللته خضرة أعشاب الربيع الذي هو فصل الصيف عندنا، وإلى يساره التلال الواقفة التي علينا أن يدور مع الطريق الأزفلتية حتى نعلوها.

وكانت فرصة لالتقاط الصور التذكارية للمكان وللرفقة فكان ذلك.

وليس في هذه المنطقة أي أثر عمارة أو حياة إلا حياة الرعي مع أننا لم نر فيها أية ماشية راعية، وحتى العمال الذين يصلحون الطريق ليسوا في المظهر المعتاد للعمال داخل الصين الذين تبدو عليهم مظاهر الصحة والنضارة وإنما هؤلاء معروقوا الأجسام، متغضنوا البشرات نحيلو البنى، وربما كان سبب ذلك أنهم من المغول وأنهم من سكان هذه المناطق الصحراوية القاسية.

ثم استمر الطريق الأزفلتي يتلوى في أحضان هذه التلال الطينية دون أن يرى فيه ما يسترعي الانتباه ما عدا عدداً من خيول المغول الدهم قد

وضعت في حظائر من الطين مسقوفة أيضاً بالطين والأخشاب مع أن الجو في هذه الساعة التي نحن فيها الآن ليس بارداً، ولم أر عندها أحداً من الناس، والظاهر أنها وضعت هنا لتكون قريبة من المرعى في هذه التلال.

في قمة التلال:

وكلما زاد صعودنا إلى قمة التلال وإن شئت قلت الجبال فهي جبال، ولكنها ليست كلها من الحجارة الخالصة زادت خضرة الأرض من الأعشاب البرية النامية حتى صارت تشبه صحراءنا العربية إذا عمها الربيع بعد غيث جوْد عاودها المرة تلو المرة.

إلا أن الأعشاب هنا في هذه الصحراء المغولية حياتها قصيرة مثل حياة الأعشاب في الصحراء العربية إلا أن الفرق بين ما ينهي حياة الأعشاب في هذه الصحراوين كبير كبر البعد ما بين الشيئين المتباينين.

فالأعشاب في بلادنا الصحراوية يقضي عليها حر الصحراء حينما تقسو الشمس في الصيف لاسيما إذا هبت الهيف، وهي الريح الجنوبية الغربية الحارة، وهي هنا يقضي عليها البرد لاسيما إذا هبت الريح الشمالية العارمة.

وقد أخبرونا أن البرد عندهم يبدأ من أواخر شهر أغسطس ثم يخيم على البلاد مبكراً حتى إنهم يعدون شهر سبتمبر فيها من شهور الشتاء.

قرية القمة:

ورأينا في قمة الجبل قرية صغيرة ذات بيوت طينية رثة ذكرني مرآى بيوتها بمنظر البيوت الطينية الرثة في شمال نيجيريا وبخاصة في مدينة (صوكوتو) التي يسمونها مقر أمير المؤمنين وهو السلطان الرسمي

الذي هو أحد الخلفاء بعد الزعيم الديني المجدد هناك (عثمان دان فودي) حتى أننا لم نكد نتبين على البعد هذه القرية، فنميزها عما يحيط بها من الأرض، لأنها طينية كما ذكرت، ولكونها لا يوجد فيها أو حولها عود أخضر نامٍ من شجرة أو نحوها إلا الأعشاب البرية التي تغطي المنطقة.

وذكروا أن اسمها قرية القمة، وذكروا اسمها بالصينية (با دين).

ومع ذلك فهي للخان وهم كفار الصينيين الذين يؤلفون الأغلبية الساحقة من السكان ولا أدري كيف اختاروا السكنى في هذا المكان الجبلي البارد الجاف الخالي من المياه، اللهم إلا أن يكون ذلك أفضل عندهم من السكنى في غرفة لهم في المدينة لا يستطيعون دفع إيجارها على قلته إلا إذا واصلوا العمل الرتيب.

وطلبت من الإخوة المرافقين أن يقفوا الحافلة حتى أصور القرية ففعلت ذلك على البعد وصورت خاصة بيتاً يقام من الطين ولم يكتمل بعد، ولا أدري أتتضح صورته أم لا.

وانتهزت هذه الفرصة لأنظر إلى العشب النامي أهو مثل عشب الربيع الذي نعرفه في بلادنا فعرفت بعضه مثل (البقره التي يصغر بعضنا اسمها فيقول: (البقيرا) وبعضه لم أعرفه.

ورأينا امرأة قد أوقدت ناراً وهي من ذوي الملابس النظيفة فذكروا أنها تجرب التربة تختبر قوتها، وتعرف عناصرها.

وذكرت أنني رأيت والطائرة تقبل على مطار (خوخاخوت) تقويا في التلال التي تقع قبله للقادم وفيها ثقوب كثيرة علامة التجارب على نوع التربة في المقاطعة.

ومما يجدر ذكره أن هذه المقاطعة الصحراوية يوجد فيها عدد من المعادن الثمينة ولكن لم يكتشف فيها النفط حتى الآن، فهي بهذا تفارق صحراءنا العربية والصحراء الإفريقية الكبرى في وجود النفط بين أحشائها.

ورأيت لأول مرة في هذه التلال حيواناً قليلاً يرعى وهو خيول قليلة، وحمر- جمع حمار- ولعل هذه الحمر جاءت من بعض الوديان الدفينة في الشتاء، وهي حمير قصيرة الأرجل، ليس منظرها منظر الحمر الفارهة التي نعرفها ولونها هو الزرقة حسب تعبير بني قومنا وهي لون الحمير التي يكون لونها بين اللون الأزرق ولون الرماد.

ثم رأينا في القمة مدرجات، زرعوا فيها القمح وأخبرونا أنه ينبت بعلا بدون سقي إذا جاده المطر في الصيف وإن المطر هذا العام لا يعتبر كثيراً.

وامتد الطريق يهبط ويعلو فوق ظهور التلال ولا أثر للعمارة إلا قرية صغيرة أخرى لأناس من قومية (خان) الكبيرة.

وأخبرنا إخواننا أننا نقترب الآن من حدود جمهورية (منغوليا) الخارجية، وإنه لم يبق بيننا وبين حدودها إلا (٢٧٠) كيلومتراً.

ومنغوليا الخارجية بقيت خالصة للمغول لم يشاركهم فيها الصينيون كمنغوليا الداخلية التي غلب الصينيون عليها حتى صار أهلها الأصلاء من المغول أقلية فيها.

وهي- أي منغوليا الخارجية- وإن كانت تعتبر مستقلة وهي عضو في الأمم المتحدة فإنها من الدول التي تدور في فلك الاتحاد السوفيتي، وفيها قوات روسية ضخمة دعتها- حسبما يقال- للمرابطة في أراضيها لكي تقاوم بذلك التهديد الصيني كما تقول.

سواء أكان استقلالها حقيقياً أم صورياً وسواء أكان ما تدعيه حكومتها من كونها دعت القوات السوفيتية الكبيرة للمرابطة فيها إنما هو للخوف من الصين عليها، فإن تلك السياسة قد عصمتها على الأقل من الذوبان في المحيط البشري الصيني التي امتدت موجاته المتلاحقة إلى شقيقتها منغوليا الداخلية هذه التي نحن نسير فيها الآن فأغرقتها.

وقد يأتي الكلام عن هذا الموضوع عند الكلام على حالة منغوليا في الوقت الحاضر في آخر الكتاب إن شاء الله.

القرى الطينية:

كلما أوغل الطريق في داخل هذه الصحراء المغولية زادت المظاهر الصحراوية التي نعرفها في الصحارى الأخرى، وأهمها بيوت الطين، وعدم وجود الأحجار الخضر إلا شجيرات معدودة رأيناهم غرسوها في داخل الوديان المنخفضة بين التلال.

ومن أهم الفروق بين هذه البيوت الصحراوية المغولية وبين بيوت الطين في الصحراوات الأخرى التي نعرفها وجود المداخن الكثيرة التي تخرج من البيوت وهي مداخن للمدافئ لشدة البرد- كما قلنا- في الشتاء.

وقد أخترق الطريق قرية طينية مهملة سيئة المظهر، ثم انحدر قليلاً إلى أرض فيها بعض الاستواء وهي أكثر خصوبة ربما لكون مياه الأمطار أو ذوبان الثلوج تنحدر إليها وإن لم نر من ذلك شيئاً باقياً الآن.

وجميع البيوت فيها من الطين، وفيها خَيْل دهم ترعى في السهل.

محافظة ووتشان:

والمحافظات في الصين هي الأقسام الإدارية التي تنقسم إليها المقاطعات.

وأخبرنا إخواننا المرافقون أننا وصلنا الآن إلى محافظة تدعى (ووتشان) ومعناه: محافظة الوادي (لأن (وو) محافظة وتشان: وادي، بالصينية طبعاً، وصلنا إلى الوادي الذي سميت المحافظة على اسمه وهو واسع المجرى إلا أنه جاف كالوديان الصحراوية في بلادنا.

وذكر أن التجار الذين كانوا يجيئون من تركستان في القديم على الإبل ذات السنامين كانوا يمرون بهذه المحافظة وأن الآن لا يوجد خط إزفلتي من هذه الجهة يربط بين مقاطعتي تركستان التي يسمونها (شنجاك) وبين هذه المنطقة من منغوليا الداخلية.

ثم مررنا بمركز المحافظة وهي بلدة يمر الطريق بسوقها الرئيسية وهو ذو بيوت مبنية من الآجر بخلاف أطراف البلدة المبنية من الطين.

والوجوه التي رأيناها في السوق أغلبها من الوجوه الصينية.

وفي سوق هذه البلدة صف من البسطات الصغيرة وهي البضائع القليلة المعروضة فوق الأرض أو على عربات يدوية جميع الباعة فيها من النساء وهي بضائع شخصية نوه أصحابنا بهذا وكرروا عليه، وذلك لفرحهم بالتخلص من القيود الشيوعية السابقة التي كانت تفرض القيود على كل شيء ينتجه الفلاح، ولذلك لا يستطيع أن يبيع شيئاً مما تنتجه أرضه، إلا للحكومة التي تدفع له ما شاءت من السعر ثم تبيعه على المستهلك بما شاءت أيضاً من سعر تحدده.

وأما اليوم فإن الفلاح حُرٌ في أن يبيع ما ينتجه من أرضه المحدودة المساحة بنفسه وبالسعر الذي يريده هو بمعنى أنه يستطيع أن يتصرف فيما ينتجه.

قالوا: وبهذه الطريقة زاد الإنتاج الزراعي أضعافا مضاعفة، بل أصبحت الخضرات والفواكه وغيرها مما ينتجه الفلاحون متوفرة بعد أن كانت تعدم أو تكاد، وكانت إذا وجدت فهي غير جيدة، لأن الفلاح لا يهتم بجودتها طالما هو يحصل على سعر واحد للجيد والرديء.

أما الآن فإنه يجتهد في تحسينها، لأنها إذا كانت جيدة حصل منها على سعر جيد، وقالوا وأعادوا القول: إن الفلاحين الآن هم أغنى فئات الشعب لأن دخولهم غير محددة طالما أنهم يجتهدون فيما تخرجه أرضهم، قالوا: وأفقر الطبقات الآن هم الموظفون والعمال.

والسبب في ذلك ظاهر لأن الفلاح دخله قابل للتحسن والزيادة إذا حسن عمله بخلاف الموظف، هذا مع العلم بأن مجال الربح عند الفلاح محدود بحدود أرضه التي تعطيه إياها الدولة وبحدود لا تزيد على ألفي متر مربع للأسرة الواحدة، ولكن يكون هناك مجال لزيادة الربح منها حتى بتربية قليل من الماشية، أو بالعناية بالحبوب والغلة التي تنتجها.

وابتدأنا رؤية قطعان الماشية ترعى في المراعي حيث اتسع السهل قليلاً فرأينا الرعايا من الغنم البيض التي تشتهر بها المقاطعة كما تشتهر بأصواف أغنامها.

ثم مر الطريق بقرية أخرى سيئة المظهر وصرنا نرى بعدها المزيد من قطعان الماشية، ورأيت عدداً من الخنازير السود الكبيرة.

ومما يذكر أن الصينيين الكفار كان قد اشتهر عنهم أنهم من أكثر

الناس أكلاً للخنازير، وذلك لسهولة تربيتها لأنها تأكل القمائم ومنها عذرات الناس.

ثم تعدد منظر القرى الطينية الصغيرة وكثرت قطعان الأغنام، فسألتهم عمن يملكها في هذه البلاد الشيوعية؟ فقالوا: قد تكون هذه الرعية لعدة أسر استأجروا لها راعياً، كما رأيت قطيعاً من البقر ذكروا أيضاً أنه ملك لعدد من الأشخاص.

هذه تساو خا:

أقبلنا على البلدة التي نقصدها وليست بالبلدة ذات البيوت المبنية المعروفة وإنما هي مجموعة من الخيام ومعبد قديم، وبعض المباني القليلة.

ولو كانت كما ذكرت لما كان لها في نفوس الناس مالها في المخيم المغولي الأصيل.

وكان أول الأشياء ظهوراً فيها هو مخيم مستطيل موجود بعيداً عن المكان ذكروا أنه للمغول، وخيامه بيض فوق مرتفع من الأرض لذلك ترى من بعيد.

ولا أدري عن الضيافة عند المغول وما إذا كانت مثلما هي عند العرب القدماء الذين يفخرون بأن يكون بيوتهم في الصحراء في مكان بارز حتى يراها الضيفان فيلتمسون الضيافة فيها.

وعندما وقفنا في هذا المكان أمام مبنى يظهر أنه حكومي وجدنا في الاستقبال سيارة صغيرة فيها أحد الرفاق كان قد سبقنا إلى المكان لتهيئة مكان نزولنا فتحدث قليلاً مع أصحابنا ثم انتقلنا إلي:

مخيم المغول:

وهو الذي سنقيم فيه وهو أشبه بمعسكر فيه صفان من الخيام على نظام خيام المغول الحقيقية، لأنه معد لذلك إعداداً مطابقاً للأصل الحقيقي، فهو بهذا يشبه من ينصب بيوتاً من بيوت الشعر في صحرائنا العربية، ويجهزها بكل ما يكون في بيت الأعرابي من الأشياء والأدوات، من أجل أن يتمثل المرء حياة الأعراب في بيوت الشعر في الصحراء.

إلا أنهم زادوا هنا أن جعلوا خادمات هذه الخيام فتيات مغوليات أصيلات اختاروهن اختياراً والبسوهن من الملابس ما يتناسب مع ما عرف عن المغول من لباس، وينسجم مع الذوق الرفيع.

أوقفنا الحافلة عند باب المخيم وابتدأتنا ثلاث فتيات تبين فيما بعد أن كل واحدة منهن تخدم خمية واحدة، وأنهم يشترطون ألا يزيد عدد الذين سيحلون الخيمة الواحدة عن خمسة أشخاص فوزعونا على هذه الخيام.



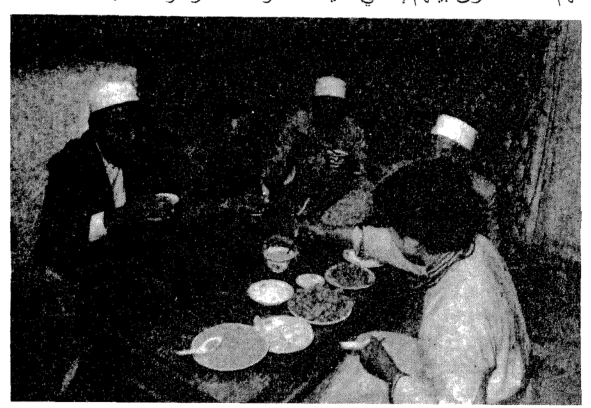
صورة تذكارية أمام الخيمة المغولية ويساري رجل مغولي بجانبه طائفة من المضيفات المغوليات

وكان معي في الخيمة زميل الرحلة كلها الأستاذ (رحمة الله بن عناية الله) والأخوان المرافقان من بكين والأخ إبراهيم ... نائب رئيس الجمعية الإسلامية المسئول عن إنفاذ برنامجنا كله.

اللغة مشكلة:

تشاور القوم وهم في (خوخاخوت) عن حل لمشكلة اللغة فالمغول الموجودون في هذه المقاطعة لا يفهمون الصينية، والقوم هنا لا يعرفون لغتهم فبحثوا عن أحد المسلمين المغول الذين يعرفون اللغتين وأخذوه معنا وهو الوحيد بيننا الذي يعرف لغة هؤلاء القوم، فصار معنا في الخدمة للترجمة.

كانت المضيفة في خيمتنا فتاة مغولية إلا أنها أكثر بياضاً من صويحباتها فهي تشبه في نظرنا التركستانيات، وإنما كان بعض الإخوة المرافقين يرون خلاف ذلك، ويرون أن لها ملامح المغول الخاصة، فنحن بسبب البعد الشديد عنهم لا نكاد نفرق بينهم إلا في أشياء محسوسة ظاهرة ومحددة.



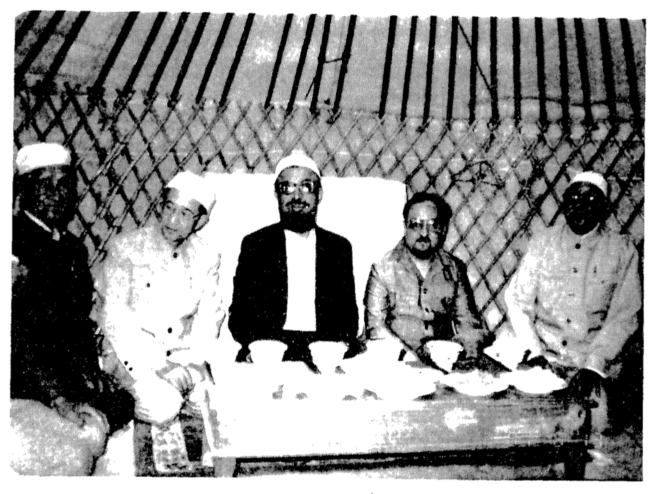
داخل المخيم المنغولي

سألها المترجم عن اسمها؟ فأجابت (جيجكا) وفسر معنى ذلك بأنه الزهرة بالمغولية، وقال الأخ رحمة الله: إن معنى هذه الكلمة بالإيغورية التي هي التركستانية: البرعم.

والمفهوم لنا أن اللغة المغولية هي فرع من لغة تركية قديمة تفرعت منها عدة لغات معروفة في الوقت الحاضر منها اللغة التركية الحديثة التي يتكلم بها الأتراك العثمانيون في جمهورية تركيا الآن، والتركستانية هذه ولهجات أخرى في تركستان الغربية وهي الإزبكية والقازاقية والأذربيجانية، أو على الأصح الإذريّة، فهذه هي النسبة الصحيحة لأذربيجان، وعدد مثل هذه اللهجات، وكان الأخ رحمة الله الذي هو من أصل تركستاني ويعرف اللهجات التركية كلها ولا أعرف له مماثلاً في هذا الأمر كان يطمع في أن يعرف شيئاً من اللغة المغولية ولكنه عندما سمع هؤلاء المغول المتحدثين لم يفهم من لغتهم شيئاً، وتبين أن بعدها الشديد عن شقيقاتها التركيات وانعزالها إلى جانب ما يظن أنها قد تأثرت به من لغات أخرى قد أبعدها عن أن تكون مفهومة للذين يعرفون اللغات التركية الحديثة.

أول ما فعلته (جيجكا) عندما استقر بنا الجلوس على دكة مرفوعة قليلاً عن الأرض في جانب الخيمة أن أخذت ترينا كيف كان المغول يصنعون في داخل الخيمة، فقالت: هذا المكان المرتفع قليلاً الذي أنتم جالسون عليه مخصص للجلوس والنوم، وفي جهته المقابلة موقد للنار داخل الخيمة، لأن البرد شديد في أكثر أيام السنة.

وهنا أدوات البيت وفي ركن منها مكان البول داخل الخيمة للبرد الشديد الذي يمنعهم من الخروج من الخيمة وبخاصة في الليل.



داخل خيمة المغول في ساو خا

إلا أنها قالت: إننا هنا قد استعضنا عن الحمام الداخلي بحمام اصطناعي ملحق بكل خيمة وهو هذا الذي ترونه من الصفيح وبابه هو هذا المغلق الذي يفتح إلى داخل الخيمة.

وقد أغلقنا الأبواب لعدم وجود الماء الذي تحتاجه هذه الحمامات.

فقلت في نفسي، وهذا أيضاً من أوجه التشابه بين هذه الصحراء المغولية وبين صحرائنا العربية، فالماء لا يوجد هنا حتى للحمام الضروري ولذلك أغلقوه بعد أن تعبوا في إقامته، وربما كانوا يأملون في توفير الماء له من مصدر لم يتيسر لهم حتى الآن.

الضيافة المغولية:

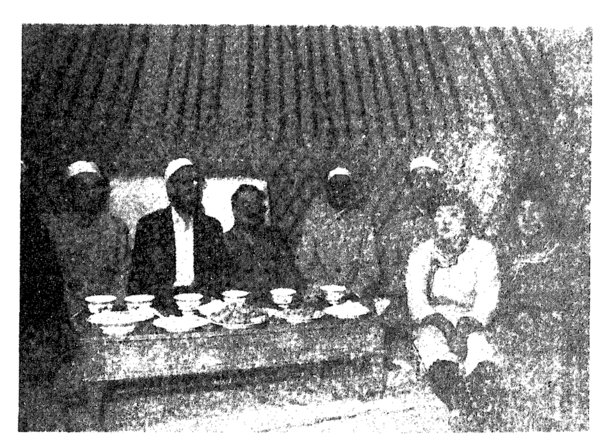
هكذا وصفوها ولا أدري أهي مغولية أصيلة أم أنها محدثة للتجميل، ولكن المؤكد أن فيها شيئاً أصيلاً، إذْ جاءت الفتاة بمائدة من الخشب مستطيلة قصيرة الأرجل وضعتها أمامنا، ثم أخذت تحضر أشياء من المآكل والنقول غريبة لا ندري ما هي، حتى جاءت بعد ذلك وشرحت أمرها واحداً واحداً.

فكان أول ما بدأت به أن أشارت إلى ما يشبه الأقط، بل هو الأقط الذي نعرفه إلا أنهم هنا أضافوا إليه قليلاً من السكر، ونحن كنا نضيف السكر إلى مسحوق الأقط عندما ندقه ونموثه في الماء، ونشربه في الصيف قبل أن نعرف هذه الأشربة الغازية المحدثة، وقد غلط المترجم عندما ترجم كلامها في تعريفه بقوله: إنه القشطة المجففة، فقلت له: قف، إن القشطة دسمة والدسم لا يكون بهذه الصلابة ثم كيف تجفف القشطة؟

قال ذلك لكونه لا يعرف الأقط، ولو كان يعرفه لما اضطر إلى هذه الترجمة المغلوطة، وهذا أيضاً من أوجه التشابه حتى في صنع ما يزيد عن الحاجة من اللبن أقطاً في الصحراء العربية والصحراء المغولية.

ثم أشارت إلى حب دقيق محمص وقال المترجم: إنها تقول: إنه الذرة الصغيرة الحبات محمصة.

فقلت له: لا، تقول: إنه سويق الدخن، فهذه التي تسميها الذرة الصغيرة الحبات- جمع حبة- هي بعينها الدخن الذي نعرفه في بلادنا وهي إذا حمصت- كما تقول- وهي لينة قبل أن تقسو صارت سويقاً كما يفعل بالشعير عندنا.



في داخل الخيمة المنغولية

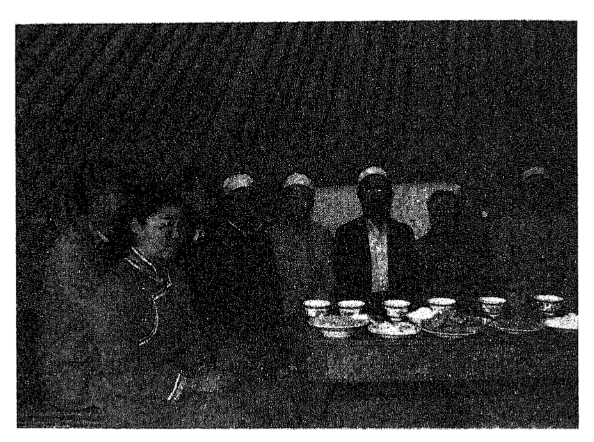
ثم عرفت أشياء معروفة كالكعك اليابس الذي سمي على اسمه (الكيك) وهو لين سهل في الفم، والكعك العربي الأصيل هو كالخبز اليابس صلب خشن عند البلع كما أحضرت الزبد، والشيء الذي صعب تعريفه هو ما أسموه الذي يلزق بأسفل القدر عندما يغلي اللبن قالوا: وهو عكس القشطة التي تكون في أعلى اللبن فهذا يكون في أسفله.

ثم جاءت بالشاي نوعين أحدهما صيني خالص وهو الخالي من الطعم الظاهر الخفيف، وشاياً آخر أحضرته في ابريق معدني كبير كالذي يصنع فيه الشاي عندنا في القديم، وهذا شاي مغولي مضاف إليه الملح دون السكر.

وجعلت تصب من الشاي وإذا ناولته للجالس انحنت حتى تضع ركبتها على الأرض أو تقرب من أن تضعها وقال الإخوة الحاضرون:

هذه من تقاليد المغول عند الاحترام.

والتقط القوم صورة لهذه الأشياء المغولية وبخاصة ما رأوه من انحناء الفتاة عند مناولة قدح الشاي.



داخل الخيمة المنغولية أيضاً

وكنت أثناء ذلك أتأمل الخيمة من الداخل فأجدها مما يسمى باللباد وهو الصوف الأبيض السميك جداً الغليظ وأعمدتها من أنابيب الحديد وقد نوهوا بذلك وأنهم استعاضوا بالحديد عن عيدان الأخشاب استبقاء للخيمة ولئلا تحتاج تلك الأعواد إلى تغيير بين الفينة والأخرى.

وأعلاها على هيئة غطاء الطبق في قمته فرجة مفتوحة إلى السماء قصد منها أن يتسرب منها الدخان إذا أشعلوا النار في داخل الخيمة ولهذه

الفرجة أو الفتحة غطاء من الجلد مربوط بها من جهة واحدة يرفع عنها عند الحاجة وتغطى به.

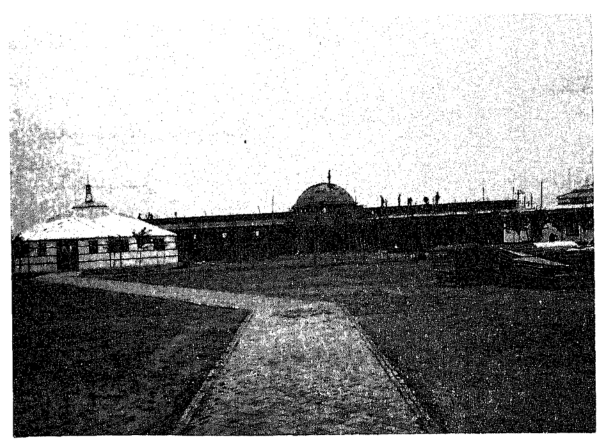
وقد حدثتنا الفتاة بما سمعنا أكثره من قبل عن شدة البرد في هذه البلاد وأن الشتاء يبدأ من سبتمبر، ولكن الثلج يبدأ بالنزول من أول ديسمبر ويستمر حتى ابريل وأن درجة الحرارة قد تهبط إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

ولذلك صار المغولي يرتب في خيمته هذه كل ما يحتاجه ويغنيه عن الخروج خارجها حتى حيوان اللبن يمكن أن يدخله في هذه الخيمة أو يجعل له خيمة ملاصقة لها، وسيأتي بعد ذلك شيء عن إطعام الحيوان في موسم البرودة الشديدة.

جولة في المخيم:

بعد الشاي والحديث عن المغولي وخيمته خرجنا للتمشي على الأقدام في ممر، فرأينا طائفة من السياح أظنهم من اليابانيين أو من الصينيين الأثرياء الذين يسكنون خارج الصين الشعبية، وجاءوا إلى هذه البلاد للسياحة وهم مثلنا يتمشون ومعهم مضيفاتهم المغولية، وهم يلتقطون الصور التذكارية لهذه المناسبة.

فطلب المرافقون صورة تذكارية يلتقطها مصورهم فكان ذلك والتقطت صورة مع المغول خاصة ورأينا القوم يقيمون فندقاً كبيراً من المسلح فوجئنا عندما وجدناهم يبنون قبة كبيرة في وسطه كأنها القباب العربية، فذكروا أنهم استوحوها من فن البناء المغولي الذي اتخذه المغول بعد أن اتصلوا بالبلدان العربية وتحضروا.



الفندق الجديد الذي يقام في معسكر المغول
على طراز مغولي استوحوه من بلادنا

وهي تخالف القباب المغولية الشهيرة في الهند التي تكون على المساجد والأماكن الهامة مثل تاج محل الشهير، وإنما هذه القبة تشبه القباب العربية الموجودة في المساجد التركية والأبنية المشابهة لها.

وذلك لما لاحظوه من إقبال السياح على زيارة هذه الخيام والتمتع بقضاء فترة من الوقت في هذا الجو الصحراوي الغريب عليهم.

وطريقة بناء هذا الفندق وسعته وكثرة غرفه توضح أملهم في زيادة الزوار للمنطقة، إلا أنها ستضعف من إعطاء السائح الانطباع بأنه يعيش في جو (مغولي) خالص، لأنه لابد للفندق من وجود أشياء مدنية تبعده عن الطريقة الصحراوية المغولية الغريبة.

المراعي المؤقتة:

خرجنا من المخيم الذي هو في أرض خلاء من جهاته الثلاثة، وبجانبه من جهة واحدة الفندق الذي يشيدونه الآن وأبنية قليلة متصلة بهذا الفندق.

وتمشينا على الأقدام في الأرض الخلاء فوق حشائش الصحراء، وقال الأخ (عيسى) نائب رئيس الجمعية الإسلامية: هذه مراعي جيدة كما ترونه ولكنها محدودة العمر فعندما يدخل شهر أكتوبر لا تستطيع المواشي أن ترعاها لشدة البرد الذي يضر بالمواشي نفسها وبهذه الأعشاب.

وحينذاك لا يكون هناك من علف للماشية، إلا ما خزن لها في المخازن تخرج منها وتطعم وهي داخل أماكن دفيئة.

فقلت له: كيف يوفرون لها الحشيش الذي يخزن وهي تحتاج إلى مقادير كبيرة؟

فقال" طريقتهم هي أن يقسموا الأراضي المعشبة كل عام إلى قسمين قسم يكون لرعي الماشية ترعاه وهو أخضر، أو حتى وهو جاف في الأرض وغالباً ما يكون هذا بعيداً عن العمارة، وقسم آخر من الأرض ذات المرعى، يمنعون المواشي من دخوله والرعي فيه، ويخصصونه للحشيش وهو العشب الذي يحشونه ويخزنونه لإطعام الماشية في الشتاء، ولا يجمعون في مكان واحد رعي العشب مع حشه، لأن ذلك يضعف الأعشاب التي يحتاجون إلى حشها أي قطعها من الأرض وخزنها.

كان يقول ذلك والقوم يسمعونه ويوافقونه على ما يقول، وأنا مسرور بذلك، لأنه حل في نفسي مشكلة المحافظة على هذه الأعشاب التي هي عماد حياتهم، وكيف يستفيدون منها لإطعام الماشية في فصل الشتاء.

ثم قال: والمغول يتنقلون بمواشيهم طلباً للمرعى في الأماكن المسموح بها إذا قل عليهم العشب في مكان أو عرفوا بوجود مكان أفضل منه لماشيتهم، إلا أنهم يستقرون في مكان معين في الشتاء لأن التنقل آنذاك يصعب عليهم.

قلت له: وما عن الماء اللازم لهم ولماشيتهم وبخاصة في فصل الصيف؟ فأجاب: هناك آبار معروفة لهم في الصحراء ينزلون عليها أو ينزلون قريباً منها، ويتزودون منها ما يحتاجونه لماشيتهم.

قالوا والقوم يسمعون: فهذه المناطق الشاسعة كلها لا يوجد فيها نهر وحتى الآبار إنما توجد غالباً في بطون الأودية التي تختزن مياه الأمطار تحت سطح الأرض، فقلت: هذا مثل ما هو عندنا من حالة الأعراب في الصحراء.

إلا أنهم عندنا يتجولون في الشتاء والربيع، بل وفي بعض الخريف ويستقرون على المياه في الصيف لشدة الحر وهؤلاء البدو من المغول ولا نقول الأعراب فيشتبه في أنهم من العرب يتجولون في أثناء الصيف والربيع ويستقرون في الشتاء لشدة البرد.

وذكروا بهذه المناسبة من وجوه الاختلاف بين صحراء المغول، وصحراء العرب أن مطر هذه الصحراء المغولية إنما يأتي في الصيف وأما في الشتاء فلا شيء غير الثلج، وعندنا يأتي المطر في الشتاء وفي الصيف لا شيء غير الريح.

وقد أعجبني منظر آثار عجلات السيارات على الأرض المعشبة مثلما يكون عندنا في الربيع فالتقطت صورة لها.

المعبد القديم:

من المعالم المهمة في هذه المنطقة معبد بوذي قديم البناء، له مكانة رفيعة في نفوس المغول، لأنهم لا يزالون بأكثريتهم يعتنقون الديانة البوذية.

ويقع في مكان غير بعيد من المخيم ركبنا إليه الحافلة وشدد الإخوة على وجود المترجم من المغولية إلى الصينية لأن العاملين في المعبد كلهم لا يحسنون الصينية، ولا يعرفون غير لغتهم المغولية.

ركبنا إليه الحافلة فأنزلتنا أمامه وهو منفرد لا يلاصقه في بنائه مبنى آخر.

وكانوا يدخلون السياح والزوار من باب فرعي صغير وفي أولئك منهم طائفة هم على الديانة البوذية غير أنها مذاهب متعددة وهذا المعبد يتبع (الدالاي لاما) زعيم التبت الذي فر من بلاده إلى الهند عندما احتلت جيوش الصين الشعبية إقليم التبت.



في فناء المعبد البوذي القديم في ساوخا في منغوليا بعد الدخول من البوابة الخارجية

أما نحن فإنهم بعد أن تكلم المترجم مع القائمين على المعبد بشأننا وشرح لهم أمرنا وأننا ضيوف من العرب جاءوا لمشاهدة هذه المنطقة فقد فتحوا لنا البوابة الرئيسية للمعبد وهي عندهم ذات أهمية، لأنها تفتح مباشرة إلى مدخل مسقوف على هيئة الرواق الصغير فيه تماثيل لعدد من آلهتهم القديمة، وقد يهونون من أمرها فيسمونها حراس المعبد.

وذلك لكون هذه البوابة تفتح على الفناء الخارجي للمعبد، وهو فناء مكشوف يسير وسطه الزائر فترة قبل أن يصل إلى المبنى الرئيسي للمعبد.

وقد بنيت هذه البوابة كسائر المعبد على الطراز الصيني الخالص كما نراه، وإن كان بعض المرافقين يقول إنه بناء فيه شيء من المسحة التبتية- نسبة إلى إقليم التبت الذي هو الآن جزء من جمهورية الصين الشعبية.

وهذه التماثيل الأربعة وهي لأربعة رجال أقوياء الأجسام ضخام الأبدان تبين الشدة والغلظة على قسمات وجوههم وقد صوروهم بألوان مختلفة أحدها أبيض، والوجه الثاني: أزرق الوجه، والثالث: أحمر، والرابع: أصفر، وكل اثنين جعلوهما في جهة من المدخل اثنين من يمين الداخل واثنين من يساره.

وأختلف المرافقون في المقصود من نحت هذه التماثيل وإقامتها هنا بالضبط وإن كانوا اتفقوا على أن أهلها يسمونها حراس المعبد، ويزعمون أنها تحرسه من اللصوص والناهبين والمعتدين ونحو ذلك.

فسألنا الذي يعرف المغولية وهو الوحيد أن يسأل القائمين على المعبد عنها فجاء المختص وهو شيخ مغولي يابس البدن صلبه، إذا رايته خيل إليك أنه بخاري أسمر لولا أن تقاسيم وجهه تخالف تقاسيم البخاريين ولا

نقول في تعريفها: إنها تقاسيم مغولية لأنها كذلك ولكننا نحاول هنا أن نعرف التقاسيم المغولية فهو ضيق العينين جداً وحاجبه شبه مستقيم وجزء منه خارج عن التقويس المعتاد عند نهاية الحاجبين، ووجهه مستطيل وليس مستديراً، وإذا رأيت البخاريين وقارنته بهم، جزمت بأن البخاريين من العرب لأن الفروق التي تلحظها بينهم وبين العرب في بلادنا تذوب كلها مثلما إذا قارنت البخاريين الذين هم التركستانيون في المظهر بالصينيين فإنك تجزم بأن التركستانيين من العرب.

وذلك لشدة الشبه ما بينهم وبين العرب، بما بين الصينيين والمغوليين وبين العرب.

قال الشيخ المغولي بجد ظاهر أو هو يتصنعه: إن للمعبد أربعة أبواب مثل ما أن الجنة السماوية التي لها أربعة أبواب، وإن كل حارس من هؤلاء الأربعة مكلف بحراسة باب من أبواب المعبد، كما أن حراس أبواب الجنة السماوية الأربعة يمنعون الناس والشياطين من دخول الجنة إلا الإله والمؤمنين بالديانة البوذية.

يسجدون للصنم:

حدثونا عن تاريخ بناء هذا المعبد ونحن نسير داخل الفناء الذي اكتظ بالزايرين والسياح والسياح هم الأكثر- بأنه بني في عهد اسرة منغ منذ حوالي أربعمائة سنة.

وقد كتبوا ذلك على بوابته وأوضحوا أنه معبد بوذي للمغول، وهذا له معنى، إذْ الصينيون كانوا بأغلبيتهم أو بكثير منهم قبل الشيوعية من البوذيين، ولكن بوذيتهم تختلف عن بوذية هؤلاء المغول، فهؤلاء يرجعون

في دينهم إلى (الدلاي لاما) رئيس التبت المخلوع الذي يسمونه (اللاما).

ودخلنا المعبد الرئيس وأهم ما فيه تمثال لبوذا ويسمونه (شيكاموني) الهندي، وهو مؤسس المذهب البوذي وأكثر الذين دخلوا المعبد كانوا مثلنا يتفرجون برؤيته ويبصرونه إلا أن قلة قليلة لا تبلغ العشرة من مجموع الزائرين الذين يبلغون المئات كانت تتعبد لبوذا وتعبدهم له هو بضم الكفين كل واحد إلى الأخرى ثم رفعهما مضمومتين إلى الجبهة والجلوس على الركبة على هيئة المحترم لغيره مع خفض الرأس قليلاً إلى الأرض.

وبعضهم يبالغون في ذلك فيسجدون له سجدة واحدة كسجدة الصلاة عندنا إلا أنها قصيرة ليس فيها شيء وليس بعدها شيء من العبادة.

والمعبد ليس فيه إلا تمثال بوذا هذا و هو متربع في جلسة بلونه الأصفر الذي يميل للذهبي، أقصد لون التمثال، وفي المعبد من الزينة خيوط عريضة مدلاة مختلفة الألوان إلا أن جميع الألوان فيها هي فاقعة صارخة وأشياء أخرى تتدلى في الحيطان تشبه الستائر غير الكاملة وتماثيل صغيرة وصف من الشمع.

وعرفنا الدليل البوذي الأول إلى كاهن المعبد الذي احتفى بنا وأحضر من داخل المعبد كتاباً مخطوطاً بالياً مكتوباً باللغة التبتية وهو ذو سطور تتدلى من فوق إلى أسفل، والعكس وليس بذي سطور تمتد من اليمين إلى الشمال أو بالعكس.

وقال: في هذا الكتاب المخطوط كل شيء عن ديننا فطلبت منه بوساطة المترجمين الاثنين الأول (مصطفى) الذي يترجم من العربية إلى الصينية والثاني الذي يعرف المغولية ويترجم من المغولية إليها طلبت منهم أن يذكر شيئاً ولو مختصراً عما في الكتاب.

فقال: يقول الكتاب: إن بوذا يعطيهم البرق- ويقصد من ذلك المطر الذي يحتاجونه أمس الحاجة وبخاصة في صحراء المغول هذه، قال: ويقول: ويعطيهم السعادة والراحة ويزيل عنهم المصائب ويجلب لهم البركة.

هذا وكنت أتأمل المعبد فأجده مبنياً بالخشب، على غرار الأبنية المحترمة القديمة في الصين ولكنك لا تحس بأنه من الخشب لولا ما يقال لك عنه، لأن باحاته و درجاته الخارجية كلها من الحجارة المنحوتة.

للزعيم المنتظر:

وجدنا في المعبد كرسياً خالياً تحت تمثال بوذا الكبير في المعبد، ذكر كاهن المعبد أنه خالٍ منذ عشرات السنين، وذلك أنه لا يجوز أن يجلس عليه إلا زعيمهم (اللاما) إذا حضر إلى هذه البلاد وحضر لينشر البركة على هذا المعبد ويتقبل المؤمنين بالبوذية من إتباعه حسب تعبيرهم.

وقد بقي الكرسي خالياً منذ سنين طويلة، لأن اللاما أو (الدالاي لاما) قد فر من بلاده التبت عندما غزاها الصينيون الشيوعيون وصار يناضل نضالاً سياسياً في سبيل استقلالها ولا يزال يفعل ذلك.

ولو عاد إلى الصين لأمسكوا به وحاكموه وقتلوه أوسجنوه إلى أن يموت.

وأراد بعض الإخوة المرافقين أن يسخروا وأن يستخف بعقولهم التي تخصص كرسياً تجعله خالياً إلى أن يعود (اللاما) ويجلس عليه لا يجلس عليه غيره.

فقلت لهم: إن هذا أمر ليس فيه ما يدعو إلى ما ذهبتم إليه وهو الخرف في العقل، بل هو داخل في نطاق العقل عندما يتصور ما يعتقده بعض الشيعة الإمامية وبخاصة طلبة العلم منهم من رجوع الإمام المنتظر،

وهو الثاني عشر المعروف بالعسكري الذي يقولون إنه دخل السرداب في سامرا، ولم يخرج منه حتى الآن وإنهم ينتظرون خروجه ولبثوا مئات السنين يعدون فرساً مسرجاً جاهزاً للركوب ليركبه إذا خرج من هذا السرداب الذي يزعم أنه دخل فيه قبل مئات من السنين.

واذكر بهذه المناسبة إنني عندما كنت في طهران في عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، وكان ذلك إبان حكم الشاه، أهدى إليّ بعض علمائهم شيئاً من كتبهم فوجدت في بعضها رمزاً صورته (جع) كما كان يوجد في كتبنا رمز لجملة صلى الله عليه وسلم التي تقال عند ذكر النبي وتكتب (صلعم)، وكلمة (رض) رمز واختصار لجملة رضي الله عنه، ولم أفهم المقصود من هذا الرمز (جع) فسألت عنه أحد علماء الشيعة من الذين كنا نجلس معهم، فقال: هذا يذكر بعد اسم الإمام الثاني عشر (العسكري) وهو اختصار لجملة (ارجع الله غربته) تفاؤلاً برجوعه بعد دخوله سرداب سامرا منذ ما يقرب من ألف ومائتي سنة تقريباً.

وقد أعطيت الدليل الأول قطعة كانت في جيبي من النقود الصينية أظنها عشر ينات فسر لذلك وأنحنى شاكراً.

ثم انتقلنا إلى غرفة في فناء المعبد الخارجي ملحقة به وجدنا فيها تحفاً ومقتنيات مصنوعة على الطراز المغولي فاشتريت خنجراً مغولياً مزوقاً باثني عشر يناً وتساوي بالصرف الرسمي أربعة ريالات ونصفاً.

الغداء في المخيم:

عدنا من مشاهدة هذا المعبد البوذي المهم عندهم بعد أن حمدنا الله سبحانه وتعالى على نعمة العقل والدين الذي شرفنا بالدين الإسلامي الحنيف البريءُ

من الوثنية وتأليه المخلوقين وذلك لتناول الغداء في الخيمة.

وهو غداء أحضره الإخوة معنا من مدينة (خوخاخوت).

فجلسنا في الخيمة على الترتيب السابق والمضيفة المغولية (جيجكا) لا تفعل أكثر من أن تفتح اللفافات التي أحضرها الإخوة من (خوخاخوت) فكان ذلك الحلوى والكعك اللين (والكيك) ثم الفاكهة المحفوظة وهو مشمش مجفف ولحم بقر جيد جداً مطبوخ ولكنه ناشف دون مرق، وإنما أعدوه لهذه الرحلة ودجاج كبير الحجم سمين أحضروه مطبوخاً أيضاً من المدينة، وخبزاً كالخبز البخاري الغليظ وليس هو ما يسمى بالتميز فذلك رقيق بالنسبة إليه، وبيض مسلوق وشاي صيني معتاد.

وقد أكلنا هنيئاً بعد الجولة والتعب، وذكر لنا إخوتنا المسلمون أنهم أحضروا هذا الطعام من (خوخاخوت) لأنهم لا يثقون بوجود لحم مذكى في هذا المكان.

ومن الأشياء التي فعلوها بعد الانتهاء من الطعام أن المضيفة (جيجكا) جاءت بماء في إناء ومعه صابونة، فأخذ القوم يغسلون أيديهم في الماء الواحد بعد الآخر، وذلك لشح الماء في هذه البلاد ولم نفعل ذلك، وفضلت أن أمسح يدي مسحاً بمناديل ورقية كانت معنا بعد أن رطبتهما بقليل من الشاي الصيني الذي ليس فيه إلا الماء الحار.

وذكرت بهذه المناسبة أنني قد لاقيت مثل هذه الحال وغسيل الأيدي بعد الطعام في إفريقية ولم تسمح نفسي بأن أفعل فعلهم هناك.

هذا مع الفارق ما بين الفريقين من الإفريقيين والمغول في هذا المجال فالإفريقيون يفعلون ذلك إتباعاً لعادة عندهم قديمة، وهؤلاء المغول يفعلونه لقلة الماء عندهم.

أزمة الحَمَّام:

وأزمة الماء الحقيقية شعرنا بها عندما احتجنا إلى الحمام فطلبنا من المضيفة أن تفتح لنا هذا الذي في الخيمة فأجابت إنه مغلق بالفعل كما ترون ومفتاحه مثل غيره من الحمامات في المخيم ليست لدينا.

ثم قالت: هو مغلق لعدم وجود الماء.

وتذكرت أن الأعرابي لم يكن يشعر بأزمة الحمام بل لم يكن يحتاج إلى الحمام في الصحراء، لأنها كلها بالنسبة إليه إنما هي حمام، فهو إذا كان يراه غيره بتطلب مكاناً منخفضاً بعيداً عن العيون ثم يكون ما يكون.

أما في هذه الصحراء المغولية، فإن الأمر صعب لأن المكان الذي نحن فيه الآن منها لا يصلح فيه ما يصلح في الصحراء، ففيه منازل وفيه أناسي كثيرون، وليس من اللائق بضيف تتبعه العيون أن يبحث عن مكان يكون فيه ما يكون.

وقال بعض المرافقين الذين كانوا احتاجوا إلى شيء من ذلك قبل ذلك هناك حمام عام، ولكنه بالغ القذارة.

دخلته فوجدته القذر كله مجسماً، لقد بنوه على شكل غرفة مرفوعة عن الأرض نصفها مقسوم بحائط كامل ونصف النصف مقسوم بحائط إلى صدر الرجل وكل نصف من النصف يغلق بباب طوله ذراع فيغلق الداخل الباب الصغير على نفسه فيرى من يدخله عليه رأسه ولو أراد أن ينظر إلى ما دون ذلك رآه، ولكن أنى له أن يقسر نفسه على نظر شيء مما في المكان وقد خرقوا في وسط هذه الغرفة وهو سقفها السفلي خرقاً كبيراً جعلوه مربعاً كل مربع له ربع هذا الخرق، أو هذه الفتحة لا يراه من في

المكان الآخر لانه مفصول بينهما بحاجز قصير كما قدمت.

ولكن القذارة الكاملة في المرحاض نفسه وهو هذا الخرق الذي يسقط منه القذر والبول على الأرض فيراه من يقضي حاجته نفسه ويراه من يكون أيضاً في الجهات الثلاث المجاورة له وإن لم ير كل شخص من الشخص الآخر إلا رأسه.

وليس فيه ماء إطلاقاً ولا ورق تنظيف أبداً والبول والنجاسة المغلظة فيه مختلطان والذباب يحوم حوله رغم كون الذباب في المكان خارج هذا المرحاض القذر قليلاً.

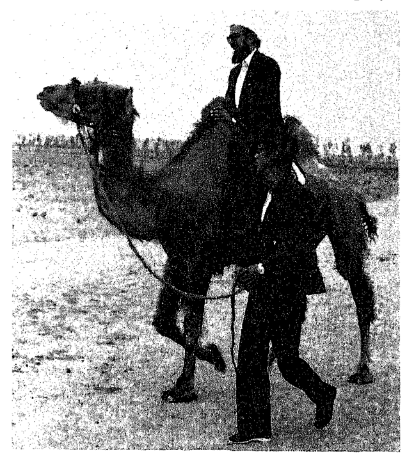
وذكرت بهذه المناسبة أن هذه سنة من سنن الشيوعية أن لا يتعهدوا أماكن قضاء الحاجة بأن تكون نظيفة وحتى التي تكون بشعة المنظر إلا في الفنادق الغالية.

وقد رأيت مثل ذلك في الاتحاد السوفيتي في منطقة (زاقاتالا) من جمهورية أذربيجان، حيث كانت محلات قضاء الحاجة عبارة عن بئر مظلم فوقه فتحة تنزل منها الفضلات وليس فيها ماء أو ورق تنظيف.

وهو بلا شك أهون شراً من هذا المرحاض الشيوعي الذي يشاهد فيه المرء القذارة التي خلفها غيره وهي أكوام مكومة تحوم فوقها الذبان وتكاد رائحتها تصرع الإنسان.

ومن حسن حظي أنني لم أكن أحتاج إلاّ إلى إراقة الماء وأنه كانت في جيبي مناديل من ورق التنظيف.

وقعة الجمل:



على الجمل ذي السنامين في صحراء منغوليا

وقعة الجمل من الوقائع المحزنة في تاريخ صدر الإسلام لأن في الفريقين المتقابلين كليهما صحابة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا يسع المرء مثلنا إذا ذكر هذه الواقعة وأراد أن يدفع عن نفسه الشعور بالأسف لها إلا أن يتناساها.

وقد ذكرتها هنا حينما كتب قلمي هذا العنوان، وقعة الجمل، وهي وقعة حقيقية من الوقوع من أعلى إلى أسفل وقد حصلت لي بالفعل ونجاني الله منها.

كان من المقرر في هذه الرحلة أن يحضروا الإبل ذات السنامين من إبل المغول، وأن يحضروا خيلاً من خيول المغول التي غزوا على أسلافها بلادنا العربية وما كان عنها من جهة الشرق من بلاد العالم الإسلامي الشرقي الواسع.

وتأخر إحضار هذه الحيوانات المغولية، وكانوا يكررون قولهم لي: ستركب الجمل؟ فأقول نعم، فقد رأيت البعير ذا السنامين في تركستان الشرقية (سنكيانغ) مع بدو القازاق ولكنني لم أركبها، كما رأيتها مع قوم من إخواننا المسلمين في مقاطعة كان سو الصينية الشمالية الغربية في الصحراء ما بين مدينة (كان سو) عاصمة المقاطعة ومدينة (نن شوان) التي هي عاصمة محافظة في تلك المقاطعة يقطن أكثرها إخوة مسلمون من أهل الصين وصورت ذلك كله ولكن لم أطلب ركوبها.

وكنت أجيبهم على قولهم: أتريد أن تركب الجمل ذا السنامين؟ بأنني أريد أن أركبه ولو كان ناقة، بل إن الناقة هي أفضل عندي للركوب من الجمل، لأنها في الغالب أكثر هدواً منه وبخاصة إذا لم تكن بكرة صغيرة السن.

فلم يكونوا يفرقون بين الجمل والناقة، وإنما كل ذلك عندهم جمل، فكان بعض المتمعلمين من كتبة العربية الذين كتب أحدهم أن لبن الجمل نافع لكذا وكذا من الأمراض ولم يدر لغفليه أن الجمل لا لبن له، وإنما اللبن للناقة ظناً منه أن كلمة جمل مرادفة لكلمة بعير التي تطلق على الذكر والأنثى، فكان بذلك يستحق أن ينشد في وصفه قول الشاعر:

ليس يدري من الجهالة ماذا دوَّر البعر في بطون الجمال

وعلى أية حال فقد جاء إلينا مخبر منهم يخبر بأنهم قد جاءوا بالجمل ذي السنامين وبالخيول المغولية الشهيرة فرأيت خيولاً كأنما علمها أربابها على الجري السريع فقلت: ليس لي بها يدان وكذلك قال جميع المرافقين ما عدا أحدهم اختار أحدها فطار به وقال الإخوة الباقون: لا تعجبوا منه إنه اشتغل بتربية الخيول.

وأما أنا فإنهم قربوا البعير وهو جمل لا ناقة ولكنه صعب نزق وهو بَكْر لم يصل بعد إلى أن يوصف عند الأعراب الذين يعرفون الإبل بأنه جمل فالجمل يمتاز بالهدوء في الحركة والصبر على الأحمال بخلاف البكر الذي هو القعود الصعب.



اثناء ركوب الجمل ذي السنامين في صحراء المغول وقوم من السياح يفترشون الأرض المعشبة مثلنا في الربيع

وقد بان نزق هذا القعود ذي السنامين عندما جاءوا بالرغاء الدقيق الذي يشبه صياح الطفل المدلل وهو يلتفت برأسه يمنة ويسرة، وكان معه صاحبه أو رجل متبرع لا أدري ولكنهم قربوا مائدة صغيرة ذات أرجل أربع مرتفعة يصعد عليها من يريد ركوب البعير ثم يقربون البعير إليها، فيركبه من هذه المنصة الخشبية ولا أدري لم لم يجعلوا البعير يبرك كما يبرك بعيرنا في الصحراء، ولعلهم يخافون على الراكب أن يميل فيقع منه إذا نهض.

وركبت عليه وهو يجأر بالشكوى مع أن منظري ليس ما يخيفه وأمثاله لا من ناحية الشجاعة والإقدام ولا من ناحية الثقل إلا أنني ركبته وصاحبه يقوده ويقول إنه لا يستطيع أن يتركه لأنه يخشى عليّ منه.

وتركت المصورين المرافقين يلتقطون الصور، وأنا مزهو بنفسي لا لمجرد ركوب البعير فذلك أمر كنت قد عرفته في شبابي وإن كان عهدي به منذ زمن بعيد، ولكن لتمثلي أنني أربك بعيراً ذا سنامين من أباعر المغول وفي صحراء المغول نفسها في أقصى الشمال الشرقي من الصين.

أما الإخوة فقد ظن من قد يكون لاحظ ذلك أنني سأفخر مثله إن فعل مثلي في ركوب البعير وأنا الذي سافرت على البعير العربي ذى السنام الواحد وركوبه أصعب من ركوب ذي السنامين لأن ذا السنامين يستطيع الراكب أن يجعل منهما رحلاً يمنعه من السقوط بخلاف ذي السنام الواحد كما هو معروف.

وقد كان ذلك في عام ١٣٦٣هـ أي منذ أربع وأربعين سنة عندما سافرت عليه من مدينة بريدة إلى بلدة المذنب في جنوب القصيم، وكان ذلك يعد سفراً في ذلك الحين إذْ استغرق منا يومين وثلاث ليالٍ، وقبل تلك السفرة كنت ركبتها كثيراً منذ كنت طفلاً مع والدي.

وكانت هذه السفرة آخر سفرة لي على الإبل، إذْ وجدت السيارات وكنت من أوائل المفتنين لها ونسيت الإبل وركوبها.

ذكرت هذه الأمور البعيدة وأنا أزهو بركوب الجمل الذي يظهر أنه لم يبادلني الشعور نفسه، بل ربما كان يبادلني ذلك نفوراً في نفور.

ولكن الله سَلّم:

إنتهت الجولة المقررة للركوب، وقرب صاحب البعير المنصة الخشبية

التي ينتقل إليها راكب البعير من ظهره وليس على ظهره أي رحل أو وقاء ووضعت إحدى رجلي فوق المنصة، والبعير يرغو من حركتي فوقه أو من كون صاحبه يمسك برسنه وهو لا يريد، لا أدري إلا انه أجفل فجأة فقفز شارداً وأنا بينه وبين المنصة الخشبية فوقعت على الأرض ولا أذكر هذه الوقعة إلا ما كان قبلها تماماً وهو وضع إحدى رجليّ على المنصة، والأخرى لا تزال على ظهر البعير، والبعير يجمح ويلقي بي في الهواء، أما كيف وقعت فهذا ما لا أذكره لأنني وقعت على رأسي ورقبتي فأصبت بإغماء ذكر الإخوة المرافقون أنه استغرق حوالي ثلاث دقائق.

وقد سارعوا إلى إرسال السيارة الصغيرة إلى مستوصف مجاور للمخيم فأحضروا منه طبيباً من المستوصف ولكنه وجدني قد أفقت، فسألني عما أحس به، فقلت: إنه رقبتي ومؤخرة رأسي ففحصني ثم قال لهم: إنه ليس به بأس.

ثم أعطاني حبتين لا أدري ما هما وأحضر ماءً وطلب مني أن آكل الحبتين وأشرب عليهما من هذا الماء الحار مقداراً.

فلما فعلت شعرت برغبة في القيء وتقيات فعلاً، وبعد ذلك زال ما بي.

وتذكرت أن العجائز عندنا كن يداوين من وقع في بئر ونجا منها أو وقع من مكان عالٍ بالعصفر ويقلن: إنه يجعله يقيء المر يعنين الصفراء التي تكون تجمعت في كبده من أثر الخوف من السقطة.

وظننت أن هذا الطب الصيني مثل طبهن.

ولكن الإخوة جزاهم الله خيراً قرروا أن يقطعوا الرحلة وأن يعودوا بنا مسرعين إلى (خوخاخوت) قالوا: من أجل أن يفحصك طبيب مختص هناك، وأركبوني السيارة الصغيرة بدلاً من الحافلة وتبعونا ولم أكن أشعر

بأي شيء إلا هذا الألم في رقبتي ومؤخرة رأسي مما يدل على أن السقطة كانت من تلقائها.

وهذا الإغماء لهذه الدقائق الثلاث هو أول إغماء أشعر به في حياتي وقد جاوزت الستين من العمر ولله الحمد.

وفاتني بسبب (وقعة الجمل) هذه كثير مما كنت أعددت نفسي لتسجيله عن المغول وهذا الجزء الذي رأيت من بلادهم.

وكان الأخوة الصينيون والمواطنون من أهل منغوليا جزاهم الله خيراً أكثر قلقاً عليَّ من نفسي.

العودة إلى خوخاخوت:

عدنا إلى خوخاخوت، وأنا لا أشكو إلا الألم الشديد في رقبتي وراسي، وكان الإخوة الصينيون والمواطنون من أهل منغوليا الداخلية أكثر قلقاً عليَّ من نفسي، حتى إنهم قالوا: إننا سنلغي البرنامج، فقلت لهم وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والنصف عندما وصلنا وكان البرنامج يتضمن في الأصل زيارة ثلاثة مصانع أحدها للسجاد والثاني مصنع اللبن، والثالث للغزل والنسيج، كما يتضمن جولة قصيرة في مدينة خوخاخوت.

وذلك حتى السادسة موعد اللقاء بكبار رجال الدولة المسئولين في حكومة هذه المقاطعة وكلهم من المغول.

إلا أن الإخوة ذكروا إنهم يفضلون أن يكشف عليَّ طبيب من (خوخاخوت) سيحضرونه قبل المضي في البرنامج فوافقتهم على ذلك، وذهبوا لإحضار الطبيب.

العاصفة:

وبقيت مستريحاً في سريري، وإذا بي أسمع ما يشبه حركة القطار من بعيد أو مجموعة محركات من السيارات وبالنافذة الزجاجية المزدوجة وهي تقرقع وتصفر وتزمجر فلم أدر ما الأمر حتى أزحت ستارة القماش عن النافذة التي تقع في الطابق الثاني عشر كما قدمت، وإذا بالجو قد أغبر وأظلم حتى قل المارة والسيارات في الشوارع وإذا بالنفايات والأشياء الخفيفة تطير في الجو.

وقد شعرت بالبرودة تدخل في غرفتي وكانت النافذة محكمة الإغلاق إلا أن الهواء يتخللها ولها صفير وأزيز مزعج.

وتبين أنها عاصفة صحراوية باردة، وإذا بالبرنامج يتأجل أو يقطع من تلقاء نفسه، لأنه يصعب التجول أو الخروج من السيارات مع هذه العاصفة إضافة إلى الظلام الذي ران على الجو وصار معه من المستحيل أن يظهر التصوير من بعيد.

ثم جاءوا بالطبيب وقالوا: هو طبيب مسلم، وهو نائب رئيس الجمعية الإسلامية، فكان أول ما كشف عليه وكرر الكشف هو النبض فكان ينتقل في جس النبض من إحدى يدي إلى الأخرى، ثم كشف على صدري وظهري بمسماع طبي كان يحمله، ولكنه لم يكشف على الضغط، ولا أدري أكان معه مقياس لضغط الدم أم لا.

وسألني عما أحس به الآن فأخبرته بالألم في رقبتي ورأسي، فسكت، ثم تكلم بالصينية مع الإخوة المرافقين فقالوا: إنه يقول: إنه سيحضر لك بعد المغرب دواءً صينياً لهذا الذي تشعر به.

وقد تذكرت أن هذا اليوم هو الأحد وهو اليوم الوحيد في الأسبوع الذي تعطل فيه الأعمال لذلك يكون التعطيل شاملاً، فقلت في نفسي: أين سيجد ذلك الدوا؟

مع العلم بأنه و عد بالعودة بعد المغرب، وذلك يكون في التاسعة على الأبكر.

وقد حسنت حالي،وقلت للإخوة: إنني على استعداد لعمل شيء خلال وقت البرنامج الملغى لئلا أفقد هذه الساعات القليلة الثمينة وبخاصة أهمها عليَّ وهو الجولة في المدينة.

إلا أن العاصفة كانت مانعاً من تحقيق ما أردت.

فاتفقنا معهم على أن نحاول التجول بعد الفطور غداً وبخاصة أنني كنت أود تصوير ما لم أستطع تصويره من المسجد الجامع وما حوله بسبب زحام المستقبلين البارحة.

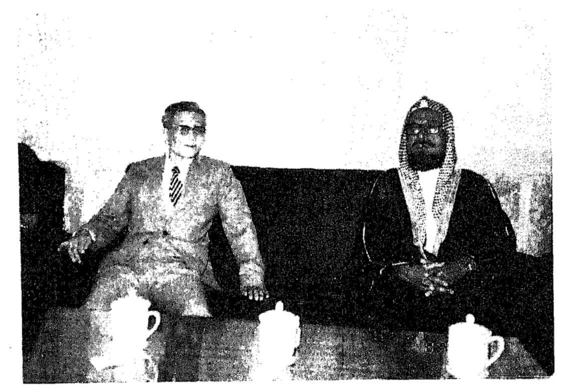
الاجتماع بنائب رئيس الحكومة:

كان اللقاء في السادسة من هذا المساء برجال الإدارة في البلاد وهم أربعة كلهم من المغول منهم نائب رئيس المجلس الاستشاري لحكومة المقاطعة (أو لي كن).

ومدير مصلحة الشئون الدينية في مقاطعة منغوليا الداخلية: (تا ري نار).

ونائب محافظ مدينة خوخاخوت: (يو ن ري).

وكلهم من المغول وليسوا من الجنس الصيني.



نائب رئيس حكومة خوخاخوت

فالقى نائب رئيس الحكومة كلمة ترحيبية ثم قال: لقد علمت بأسف أن الجمل الذي ركبته قد جمح وسقطت على الأرض وأنك قد تأثرت رقبتك من تلك السقطة، فقلت له ممازحاً: إنني اعتبر تلك السقطة على الرقبة إنما هي تمرين رياضي لها، لأنني منذ أيام كنت مشغولاً عن ممارسة التمرينات الرياضية، فضحك من ذلك وضحك الآخرون بسرور لأنهم اطمأنوا على أن ضيفهم بخير.

ثم قلت: إن هذا الجمل الذي جمح وأسقطني أراد لي أن تقترن زيارتي لهذه المقاطعة بحدث يجعلها لا تنسى بسرعة فكان له ما أراد.

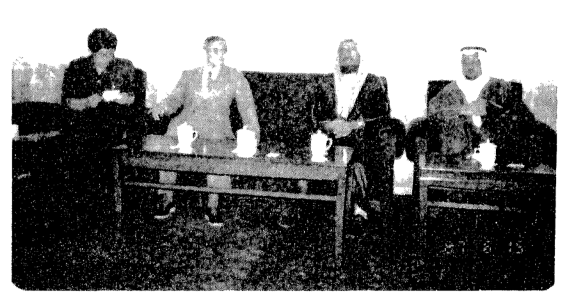
ثم بدأ الكلام الجدي فكرر الترحيب وقال:

إنا نرحب بزيارتكم التي هي أول زيارة لوفد من المملكة العربية السعودية لمنغوليا.

وأكد على أن المسلمين هنا يعيشون مع غيرهم من القوميات المختلفة بسلام ووئام، ويعملون جميعاً لبناء الوطن.

وقال: المسلمون ينتشرون في جميع أنحاء منغوليا، ويتمركز أكثرهم في مدينة (خوخاخوت) ويمارسون نشاطهم في المجالات الدينية بحرية.

ثم تكلم عن وضع مقاطعة منغوليا الداخلية، فقال مما قاله: إنها مقاطعة متخلفة، ولكنها بدأت تتطور في السنوات الأخيرة بالتدريج.



الاجتماع بنائب رئيس حكومة منغوليا الداخلية
وهو على يميني وعلى يمينه مصطفى المترجم

فرددت عليه بكلمة مجاملة، ذكرت فيها أنني سعيد بزيارة هذه المقاطعة التي ترك أهلها الأوائل في التاريخ أحداثاً لا تنسى، وكانوا عندما غادروها وغزوا البلاد الإسلامية غير متعلمين ولا مثقفين فلم يكونوا يفهمون معنى للثقافة التي وجدوها أمامهم، إلا أنهم بعد أن تعلموا وأسلموا

صار منهم ملوك في البلدان العربية مثل بغداد.

كما أن أحفاد الذين حكموا الهند خلفوا مآثر إسلامية من المساجد وأبنية أخرى خالدة على الدهر، وكان منهم العلماء والفقهاء، مثل عالم قير، وهم وإن كانوا قدموا إلى الهند من سمرقند فإنهم مغوليون ولذلك عرفهم العالم بملوك المغول، وعرف حكمهم للهند بأنه عهد الحكم المغولي، وحتى إن أهل الهند الآن إنما يطلعون السياح والزوار على ما خلفه هؤلاء المغول في الهند، لأنه أعظم ما يفخرون به.

فرد على هذه النقطة بكلمة مجاملة قال فيها: إنك تعلم من تاريخ قومي المغول أكثر مما أعلمه.

وذكرت بهذه المناسبة أنني عندما قابلت الرئيس موسى تراوري رئيس جمهورية مالي في قصر الرئاسة في باماكو عاصمة مالي، وذكرت له ما قرأناه في كتبنا العربية عن تاريخ سلاطين السودان وملوكهم وهم من سلاطين مالي المسلمين القدماء، قال: وهو المثقف الكبير بالفرنسية: إنك أخبرتني عن تاريخ بلادي بما لا أعرفه، فقلت له: إن هذا هو ما وجدته في الكتب والمراجع العلمية العربية مسجلة مقرراً، وذلك أنه مع أنه رئيس جمهورية مثل هذا المثقف المغولي لم يتح له أن يقرأ ترجمة كاملة عما في كتبنا العربية من تاريخ المغول.

ثم أهديته عباءة عربية مقصبة وألبستها إياه بنفسي، وكذلك للموظفين الكبار الذين كانوا معه.



إهداء المشالح لبعض المسئولين في خوخاخوت

وقلت لهم في كلمتي إن العلاقات الطيبة من المسئولين في هذه المقاطعة مع المسلمين هنا تعتبر بادرة طيبة نحو الشعوب المسلمة في خارج الصين، وأن مدير مصلحة الشئون الدينية في بكين أخبرنا أن توثيق العلاقات بين رابطة العالم الإسلامي والجمعية الإسلامية الصينية يعتبر في الوقت نفسه توثيقاً للصلة بين الشعب الصيني والشعوب المسلمة.

وأخبركم أن التعاون مستمر بين الرابطة والجمعية الإسلامية الصينية فيما يتعلق بالنواحي الإسلامية من ثقافة وغيرها.

وقلت لهؤلاء المسئولين: إن ما رأيناه من أحوال المسلمين في هذه المقاطعة يدل على أنهم يتمتعون بحرية المحافظة على مساجدهم، وإنهم لا يخشون شيئاً إذا أرادوا تأدية شعائر دينهم، وهذا أمر مفرح لنا وهو في الوقت نفسه يدل على حسن تقدير للأمور من المسئولين.

وفي نهاية الاجتماع قدمت هدايا لكل واحد منهم فيها عباءات عربية وساعات يدوية.

عشاء الجمعية الإسلامية في منغوليا:

في السادسة والنصف ودقائق حان موعد حفل العشاء الذي ستقيمه الجمعية الإسلامية في منغوليا الداخلية وتبين أنهم قد دعوا كبار المسئولين لحضور هذا العشاء ومنهم نائب رئيس الحكومة هذا والذين معه فنزلنا من القاعة التي كنا مجتمعين فيها في الطابق الثالث من فندقنا إلى الركن الخاص الذي ستقام فيه المأدبة، وهو قاعة منفردة منعزلة عن مطعم الفندق وتقع في الطابق الأرضي.



مأدبة العشاء في خوخاخوت بجانبي نائب رئيس الحكومة من جهة اليمين ومن جهة السيار الأستاذ رحمة الله

وكنا ننتقل إلى العشاء والمطر ينزل فاستبشروا بنزول المطر لأنهم بحاجة إليه لعدم وجود الأنهار في بلادهم، وكانت العاصفة قد هدأت في السادسة، وبدأ المطر ينزل في السادسة والنصف، ولم نعرف متى وقف

لأننا لبثنا وقتا طويلا على طعام العشاء، لأنني وجدت في نائب رئيس الحكومة شخصا مغوليا مثقفا كان يجيب على أسئلتي بدقة، وكان يستفسر عن كثير من شئون الحياة في الصحراء العربية، وبخاصة ما يتعلق بالإبل ذات السنام الواحد التي هي خلاف الإبل ذوات السنامين الموجودة عندهم.

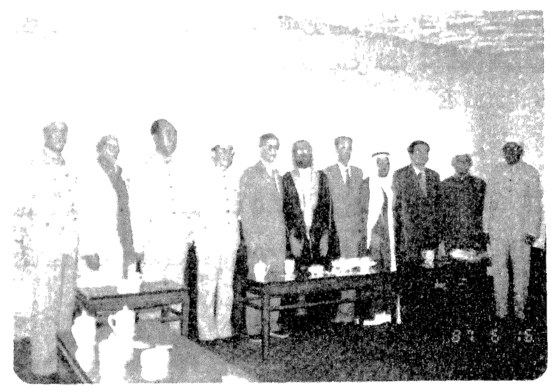
وكن مما قاله: إن المغول عندنا يشربون ألبان الإبل، ويأكلون لحومها، وينتفعون من أوبارها التي تكثر عليها في الشتاء لتقيها البرد، وتسقط عنها في الصيف عندما يحل الدفء.

وذكروا أن هذه البلاد يشح فيها المطر ولذلك يقل فيها الماء، وأن الناس يضطرون لحفر الآبار لمسافة بعيدة تصل إلى مائة متر.

يقولون ذلك وهم لا يعرفون أننا في المملكة العربية السعودية نحفر الآبار للزراعة والتكسب بها حتى نصل إلى عمق سبعمائة متر، وربما كان ذلك أمراً لا يتصورونه لأنهم لم تنتشر عندهم الحفارات الارتوازية القوية التي تصل في حفرها إلى الأعماق البعيدة.

وأذكر أنني رأيت مرة في إحدى نواحي الصين خمسة عمال أوستة قد اجتمعوا على حفر بئر ارتوازية بحفار يدوي برفع حبله فوق بكرة ثم يتعاونون وهو يتدلى قرب الأرض على جعله يضرب الأرض بقوة ليكون حفره أقوى.

وعادوا يتكلمون عن الجو الصحراوي في بلادهم فقالوا: نحن في الصباح الباكر نلبس الصوف وفي الظهر نقتصر على القميص، ونأكل البطيخ والشمام أمام المدفئة، أما اللبس ذلك فإنه في فصل الصيف وأما البطيخ فإنه لقصر فصل الحر عندنا لا ينضج إلا وقد حل البرد.



صورة تذكارية في غرفة الاجتماع بفندق منغوليا مع نائب رئيس الحكومة إلى يميني وغيره من المسئولين الحكوميين والعاملين في الجمعية الإسلامية

وقالوا وهم من كبار المثقفين: إن البرد يبدأ في شهر أغسطس أما سبتمبر فإنه يعتبر عندنا من الشهور الباردة، والحر الشديد يكون في شهر يوليو.

وقد استمرت حفلة العشاء ساعتين كاملتين، وكانت الأحاديث المتنوعة عليها التي ذكرت بعضها أشهى من الأنواع المنوعة من الطعام التي منها الغريب حتى على هذه البلاد ذات الأطعمة الغريبة، وفيها ما هو مألوف منها ولكنه غريب في بلادنا وما شابهها من البلدان البعيدة.

مخ القرد:

في الغريب صحن جاءوا به فيه قُطر أبيض غريب الشكل ذكروا أنه مفضل عندهم ويسمونه (مخ القرد) لأنه يشبه مخ القرد.

وذكرت بهذه المناسبة شيئاً كان يثير التقزز عن الطعام في نفسي وهو ما سمعته من الصينيين، أن أفخر المآكل وأغلاها عند بعض الكبار من كفار الصينيين المسمين (بالخان) هو (مخ القرد) وهم يتغالون به ويتنافسون على أكله.

أما لحم القرد نفسه فإن أكله شائع عند الصينيين الكفار.

ففهمت لماذا أسمى الصينيون هذا الفطر الأبيض اللين بمخ القرد لنفاسته.

كما جاءوا بطبق غريب ذكروا أنه من خياشيم السمك وحدها وليس معها إلا عروق شجر البامبو التي يأكلونها مطبوخة كما تطبخ الخضرات الأخرى.



أثناء إهدائِي المشلح لنائب رئيس حكومة منغوليا في خوخاخوت

لحم السنام بالسكر:

وكذلك جاءوا بطبق فيه كرات صغيرة أصغر من النبقة المعتادة، وهي منقوعة في مرق أحمر ذكروا أنه حلو لأنه محلى بالسكر.

وقدموه إلـيَّ قـائلين: إنـه مـن شـحم الـسنام، سـنام البعيـر ذي الـسنامين وهو حلو لذيذ، ولم أذقه لأنني لا أريد أن آكل الـشحم، ولأننـي لـو أردت لـم أطق أن أكله محلى بالسكر.

ولكنهم أكلوا منه على سبيل الاستطراف كل واحد أخذ كرة واحدة أو اثنتين وأكلها، وكذلك جاءوا بسمك نـهري جميل المنظر، إلا أننـا عنـدما ذقنـاه وجدناهم وضعوا عليه صلصة حمراء حلوة الطعم فكان ذلك عيباً فيه عندنا.

أما اللحوم فإنها كانت منوعـة ويكفـي أن نعـرف أن منهـا الـدجاج والـسمك ولحم البقر، وفخذ خروف كاملة وإربيان وهو الجمبري بلغـة عـوام المـصريين والروبيان عند عامتنا، وأما الخضرات فإنها متعددة قد يكون مر ذكر بعضها ومن ذلـك الـذي يسمونه الـشعري، وهـو يستحق هذه التسمية لأنـه أسود بلـون الشعر الشاب، وهو مستطيل وينبت وحشياً في الصحراء لا يزرعونه.

وجاءوا بالحساء وهو (الشربة) في آخر الطعـام كمـا هـي عـادتهم، فـي وجباتهم خلاف ما هو معروف عندنا وعند الأوربيين حيث يكون الحساء فاتحة المائدة، وبخاصة مائدة العشاء.

وعند الانتهاء من المائدة وقبل الخروج من قاعة الفندق طلبوا الصور التذكارية مع هؤلاء المسئولين، ثم انتهز الإخوة المسلمون وعددهم كثير الفرصة بأن طلبوا صورة تذكارية لهم معنـا ومـع هؤلاء المسئولين الكبـار فوقفوا جميعاً في درج الفندق الداخلي الذي يفصل بين جزئين من القاعـة والتقطوا الصورة المطلوبة.

الطب الصيني:

وعندما أويت إلى غرفتـي طـرق البـاب مـدير مـصلحة الـشئون الدينيـة في المقاطعة الذي كان قد حضر المأدبة واعتذر بأنه يريد أن يـودعني لأنـه مسافر الآن، ولا يستطيع أن يحضر غداً، واعتذر عما حصل من البعير.

قال: لا شك أن الخطأ هو خطأنا، لأن البعير لم يكن ذلولاً، ولكن لم يكن بقربنا غيره.

فقلت له: لا عليك من ذاك فهو شيء مقدر ولم يترتب عليه ضرر مهم ولله الحمد.

ثم جاء الأخ (مصطفى يانغ) الذي كان هومترجمنا الذي رافقنا هذه الجولة ومعه الدواء الصيني المطلوب، وذكر أنه هو الذي سيضع الدواء لأنه سبق أن درس هذا الطب الصيني، وتعلم حتى وخز الإبر، وذلك أن الحكومة كانت في عهد القوة لماو تسي تونغ تأخذ الشبان وترسلهم إلى المزارع ليعملوا مع الفلاحين، قال: فكان أن فررت من ذلك لدراسة هذا الطب الصيني.

وقال: لقد كان مقرراً أن يأتي الطبيب بنفسه، ولكنه أخبرني بما أفعله وأعطاني هذا الدواء.

ثم أحضر ماء حاراً كان يغمس فيه فوطاً صغيرة ويلصقها فوق رقبتي وراسي، ويظل يسألني عن أماكن الألم بصفة خاصة فيمسح عليها بأطراف أصابعه مسحاً رقيقاً بطريقة فنية، ثم يعاقب عليها هذه الفوط الحارة ويظل يصنع بأصابعه ما يسمى بالمساج وهو التدليك الفني المدروس.

وقد شعرت براحة عظيمة وبخاصة عن أثر التكميد بالفوط الحارة الذي كان إذا وضعها جعل يتحسس مواضع الألم بأطراف أصابعه من فوقها.

ثم جاء بلصقة صينية، ووضعها على رقبتي، وقال: سوف أصنع لك مثل هذا لمدة يومين أو ثلاثة في الصباح والمساء وسوف يزول الألم إن شاء الله.

والواقع أنه لم يمض يومان وهو يوالي دواءه لي الذي لم يكن يعوقني عن أي شيء لأنني كنت ألبس الملابس العربية واللصقة التي وضعها صغيرة حتى زال ما كنت أحس به تماماً ولله الحمد.

يوم الاثنين ١٩ شوال ١٤٠٧هـ:

جولة في خوخاخوت:

فرغنا من طعام افطارنا مبكرين بالنسبة إلى عادتهم في البطأ بالإفطار وأرسلوا أحدهم إلى المطار مع التذاكر والأمتعة، وذلك من أجل تهيئة ذلك قبل وصولنا المطار اغتناماً للوقت.



شارع في خوخاتون

وقصدنا المسجد مع شوارع (خوخاخوت) الواسعة الحديثة فرأينا بين ما رأيناه أنهم يهدمون بيوت الطين القديمة ويقيمون مكان العديد منها بناء حديثاً متعدد الطوابق مثلما كنا نفعل قبل سنوات غير أن أبنيتهم تلك هي أبنية عامة يهدمون بيوتاً كثيرة حتى يقوموا منها بناء واحداً كبيراً مع ما يحتاج إيه من باحات ومرافق.

كما رأينا الناس بدءوا بالحركة والساعة الآن بعد السابعة والنصف بقليل.

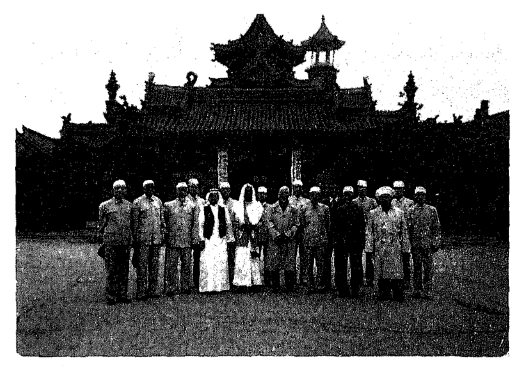
ثم وصلنا المسجد لنصور منارته الشامخة الغريبة الهندسة في هذه البلاد التي تعتبر الآن صينية طابع الأبنية فيها هو الطابع الصيني.

كما صورنا بعض اللافتات التي لم يمكن تصويرها لزحام المستقبلين في الاستقبال عندما زرنا المسجد فرأيناهم كتبوا من بين تلك اللافتات: (قال النبي صلعم: أحبوا العرب لثلاث لأنني عربي، والقرآن عربي وكلام أهل الجنة في الجنة عربي)، وأخرى تقول وهي لوحة كبيرة طويلة من القماش (عاشت الصداقة بين مسلمي الصين والمسلمين في العالم)، وأخرى كتبوا عليها، قال الله تعالى: (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**).

ثم قمنا بجولة على المسجد فرأيت أنهم ركبوا على واجهته ساعة ثمينة كبيرة قديمة وكتبوا فوقها باللغة العربية (هذا بيت الله).

وقد كتبوا ذلك بمثابة الجزء من تزيين واجهة المصلى في المسجد التي تطل على الفناء الخارجي الداخلي، ولذلك أكثروا تحتها من كتابة لوحات وعبارات عربية ولكن بالخط العربي الذي يكتب به أهل الصين وخشيت أن أقول بالخط الصيني فيظن أن ذلك هو الكتابة بالأشكال الصينية المعروفة.

من تلك اللوحات الآية الكريمة على يمين الواجهة: (**يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله**)، وعلى اليسار: (**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**).



صورة تذكارية مع العاملين في الجمعية الإسلامية
أمام المدخل الخارجي لجامع خوخاخوت ويساري
رئيس الجمعية الإسلامية في منغوليا الداخلية

وكتبوا أسفل من ذلك ولا يزالون على الواجهة الآية الكريمة: (**الله نور السموات والأرض**) كذلك زينوا نوافذ المسجد الداخلية أي التي تفتح على الفناء داخل المسجد بآيات قرآنية بخطوط عربية على طريقة الكتابة الصينية للخط العربي.

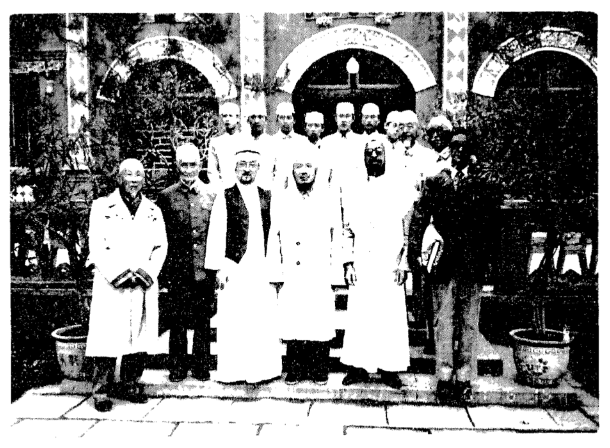
وزينوها بألوان فاقعة من أكثرها ظهوراً اللون الأصفر.

والمسجد مبني كله على الطراز الصيني الذي هو بالخشب الصقيل القوي المزخرف والمنحوت بل المخروط ما عدا الحيطان فإنها مبنية بالآجر.

ورأيت حوانيت ملحقة بالمسجد من الخارج يظهر من طراز بنائها أنها قديمة البناء، وربما كانت من عهد المسجد فسألتهم عما إذا كانت تابعة للمسجد فأجابوا: نعم، ولكنهم لم يجيبوا على ما إذا كانت غلتها تدفع للمسجد للصرف

منها على ما يحتاجه، لأن المعروف أن الشيوعيين الصينيين كانوا قد صادروا جميع الأوقاف الإسلامية وانتزعوها من أهلها وبخاصة عندما انتزعوا المساجد ولكنهم أعادوا المساجد أو أكثرها ولا أدري ما فعلوه بالأوقاف.

ومررنا بميدان جيد يتوسطه تمثال لفتاة مغولية بثياب بيض من الحرير وهي تقدم الضيافة للضيوف إشارة إلى تقاليد المغول في الضيافة، كما قالوا ذلك دون أن يفصلوه، وكنت أود أن أعرف تقاليدهم في الضيافة في هذه الصحراء الباردة التي تشتد فيها الحاجة إلى الضيافة مثلما تشتد في صحرائنا أو أكثر من أجل البرد.



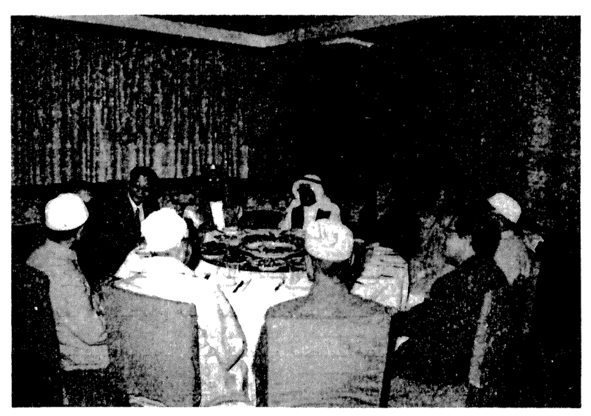
صورة تذكارية داخل جامع خوخاخوت على يميني إمام المسجد فرحمة الله فعيسى... نائب رئيس الجمعية ويساري سليمان عبدالعزيز ... (المصري كما سميته)

ثم سرنا مع شوارع واسعة رأينا مثلها بالأمس، وأكثرها عليها الأبنية الحكومية الضخمة المتعددة الطوابق، التي تتألف من شقق سكنية، وهي الطريقة الوحيدة بل هي الموجودة الآن لأن الأفراد لا يستطيعون أن يبنوا لهم بيوتاً خاصة في المدن، لارتفاع تكاليف البناء إلى الحد الذي لا يقدرون عليه، ولأن الأراضي كلها تعتبرها الحكومة مملوكة لها حتى أراضي البيوت الصغيرة القديمة التي هي كانت مملوكة لأفراد لا يزالون يسكنون فيها لأنها لا تزيد على الحد الذي قررته الحكومة في السكن للأسر فإن أهلها لا يستطيعون التصرف في أرضها ولا يستطيع ذلك إلا الحكومة نفسها التي تهدمها مع ما يجاورها إذا قررت ذلك وتبني بديلاً منها مجتمعة أبنية أي (عمارات) ضخمة.

وتكرر منظر الدراجات الكثيرة الذي أفضل أن أسميه أحياناً بفيضان الدراجات في شوارع المدن الصينية وذلك لأن الوقت الآن هو وقت ذهاب الناس إلى أعمالهم.

ومررنا بعمال يصلحون الطريق وهم يحفرون الشارع بالمساحي والمقالع اليدوية، وليس هذا هو وحده الذي يدل على القدم بل رأينا غير بعيد منهم بيتاً قديماً من الطين في أسفله حزم من حزم الحطب للبيع.

ولاحظت هنا أنه رغم الجو الصحراوي الذي هو طابع هذه المقاطعة فإن الشوارع الداخلية في المدينة مشجرة تشجيراً جيداً، مما يدل على أن القوم قد أولوا التشجير أهمية كبيرة.



مأدبة العشاء في مدينة خوخاخوت

وربما كان نزول الثلج بعد برودة الجو بساعد على نمو الأشجار في وقت من السنة لأنه يجلب الرطوبة إلى جذوعها فترة ليست قصيرة فتخزنه حتى إلى ما بعد ذلك، لأن الحر ليس شديداً عندهم.

مغادرة منغوليا:

لم يمهلنا الوقت طويلاً في شوارع (خوخاخوت) إذْ كان موعد قيام الطائرة في التاسعة والربع قد أزف، فأسرعنا نقصد المطار، وعندما وصلنا كانت المضيفة الأرضية في الانتظار وكانت الساعة قد بلغت التاسعة فطلبوا من السائقين أن يتجهوا إلى الطائرة التي صعدنا إليها دون المرور بقاعة كبار الزوار وكانت الجوازات مع التذاكر هذه المرة مع الإخوة الذين سبقونا إلى الطائرة.

وكان وداع الإخوة المسلمين من أهل (خوخاخوت) كريماً كما كان

استقبالهم كريماً، والتقطنا صورة تذكارية معهم على سلم الطائرة عندما أخبرونا أن النظام المتبع لا يمانع في ذلك.

ووجدنا الطائرة صغيرة كطائرتنا التي قدمنا عليها قبل يومين إن لم تكن هي بعينها، وهي الصغيرة ذات المحركين المروحيين، ولم يسمحوا بصعود الركاب إلاّ بعد صعودنا، ثم امتلأت بهم الطائرة كلها وعدد مقاعدها هي ستة وأربعون.

وقامت في موعدها المحدد في الأصل وهو التاسعة والربع، وهذا شيء نادر في عالم الطيران.

وحالما ارتفعت من (خوخاخوت) دخلت في غيم ران على الأرض فترة طويلة، وكانت الضيافة كيساً من عصير الكمثرى.

وجدنا في استقبالنا في مطار بكين بعض الإخوة من الجمعية الإسلامية الذين كانوا في الاستقبال، إلا أنهم أخبرونا أن بقيتهم ومعهم السيارات لم تصل بعد اعتماداً على كون الطائرات في العادة تتأخر عن موعد وصولها المحدد في الأوراق بضع دقائق.

العودة إلى بكين:

ثم جاء بقية الإخوة ومعهم السيارات فانطلقت مع الشارع غير الواسع الذي ينطلق من مطار بكين إلى المدينة حتى وصلت إلى الشوارع الواسعة في ضواحيها وقد أقاموا عليها الأبنية (العمارات) السكنية الكبيرة حتى أنزلونا في فندق لنستريح فيه بضع ساعات قبل أن نواصل سفرنا إلى مدينة شنغهاي حيث نبيت فيها ليلة ثم نسافر غداً إن شاء الله إلى مدينة (كون منغ) عاصمة مقاطعة يونان.

وكان نزولنا في فندق كبير إلا أنه لا يصل إلى مستوى الدرجة الأولى وهو كافٍ لنا بل نحن طلبنا من إخواننا أن يكون كذلك لأننا سوف نسافر- كما قلت- في السابعة والربع من مساء هذا اليوم ولو قلت، من عصر هذا اليوم لما أبعدت عن الصواب لأن الشمس تغيب في بكين بعد السابعة والربع بأكثر من ساعة.

واسم الفندق الذي نزلناه لبضع ساعات هو (بي دي) هوتيل، أي فندق الطرف الشمالي، وقد تترجم إلى فندق الجهة الشمالية.

ويقع في وسط مدينة بكين لذلك شارعه دائم الازدحام بالدراجات، التي يتعب أربابها عند الإشارات، بل حتى عند أدنى تمهل للمرور بسبب الزحام، ولسبب غيره من الأسباب إذْ يضطرون إلى التمهل ثم الترجل، لأن الدراجة وهي البديل لوسيلة الركوب القديمة الرخيصة (الحمار) لا تستطيع أن تكون كالحمار الذي توقفه إذا أردت فيقف وتظل أنت راكباً عليه، بل هي تركبك ما دامت سائرة، وترجلك أي تجعلك تكون راجلاً إذا وقفت.

وبعد استراحة كنا بحاجة إليها أعقبها بعض العمل مع الإخوة في الجمعية الإسلامية جاء الأخ الشيخ (الياس شان شي) رئيس الجمعية الإسلامية الصينية ومعه بعض نوابه والعاملين في الجمعية إلينا مسلمين ومهنئين بسلامة الوصول، وقبلها بالسلامة من (وقعة الجمل).

ثم انتقلنا إلى ركن في قاعة خاصة من مطعم فندق (بي، دي) لتناول الغداء الذي كان موعده قد أزف، فكان كسائر طعام المسلمين من أهل الصين شهي المذاق، متنوع الأعراق.

فكان من غرائبه لحم الصدف، ومن أطايبه عروق البامبو مع الفطر

الطبيعي الأسود وهو الذي يشبه الفقع أي الكمأة عندنا.

وسألنا أحد الإخوة في الجمعية بعد أن أكلنا في المطعم شهياً هنيئاً عن ثمنه لكي نعرفه، لا لكي ندفعه لأن الجمعية الإسلامية الصينية قد تكفلت باستضافتنا، و تكلفت دفع مصاريف ذلك كله فذكر أنها ثلاثون يناً صينياً ثمن الغداء للشخص الواحد.

وذكر أن الغداء في الفنادق التي هي أعلى منه رتبة هو أغلى منه قيمة مثل فندقنا الذي كنا فيه قبل أيام في بكين وهو (شي يوان شي) غير أننا لاحظنا عندما كنا نوقع بعد الغداء على قائمة الحساب انه لم يكن يزيد على ذلك.

ولعل ذلك لكثرة الأنواع في غداء هذا اليوم الذي حضره رئيس الجمعية الإسلامية الصينية الشيخ الياس الذي هو أكبر المسلمين منصباً في هذه البلاد من الناحية الرسمية.

ثم غادرنا فندق (بي دي) إلى المطار في السادسة إلا الربع عصراً فرأينا الزحام في الشوارع على أشده من الراجلين وراكبي الدراجات والسيارات التي أكثرها ظهوراً في هذه الساعة في الشوارع هي الحافلات.

ولاحظت شيئاً غريباً في هذه الحافلات لم أسمعه من قبل، وهو أن بعضها يكون به مكبر للصوت ينادي بعبارات سألت عنها الإخوة المرافقين، فقالوا: إن الجابي في الحافلة ينادي من مكبر للصوت يحمله بيده في الناس بأننا سنصل إلى محطة كذا، فمن أراد النزول فيها فليهيئ نفسه لذلك.

وذلك لشدة الزحام في هذه الساعة لأنها ساعة رجوع الناس إلى بيوتهم بعد الخروج من العمل، ويصعب عليه أن يبلغهم ذلك بصوته لكثرتهم وازدحامهم، و لكون الحافلة يكون فيها مقطورة خلفها في بعض الحالات وفي بعض الخطوط.

واتضحت كثرة الشعب الصيني في مثل هذه الساعة، ولكنها كثرة لم تورث ارتباكاً في السير، لا بالنسبة إلى المشاة، ولا بالنسبة إلى الراكبين، إلا ما يعتبر أمراً معتاداً، في كل البلاد في مثل هذه الأحوال من الزحام.

وتكرر عجبي من الشعب الصيني بكثرة أفراده، وزيادة تعداده التي أنافت على الألف مليون وفي مدنه الكبيرة خاصة أنك لا ترى في الألوف المؤلفة من الوجوه التي تطالعك في هذا الزحام وجهاً ليس نظيفاً ولا تقول وجهاً ليس جميلاً، فالكلام الآن ليس عن الجمال، وإنما عن الحال، كما لا ترى في ثياب هؤلاء القوم ثوباً مهلهلاً، أو شخصاً يرتدي ثياباً زرية.

والأعجب من ذلك أنك لا ترى أيضاً على الوجوه والأجسام وجهاً عليه آثار الجوع، ومسحة البؤس الموجودة في بعض البلدان التي يكثر سكانها مع فقر أهلها.

وهذا رغم كون الصينيين ليسوا من أهالي الدخول المتوسطة، فضلاً عن العالية وإنما هم من ذوي الدخول المنخفضة بالمعايير الاقتصادية الدولية.

وقد سافرنا من بكين إلى شنغهاي في السابعة والنصف من هذا المساء في طريقنا إلى مقاطعة يونان، ولذلك حديث آخر في كتاب آخر عنوانه: (العودة إلى الصين).

ملخص عمل وفد الرابطة في منغوليا الداخلية:

يتضمن ذلك ذكر ما يتعلق بالشئون الإسلامية في رحلتنا إلى منغوليا هذه دون ذكر السياحة من الرحلة:

يوم السبت ١٧/١٠/١٤٠٧هـ:

حسب البرنامج الذي وضعته الجمعية الإسلامية الصينية غادرنا بكين جواً إلى خوخاخوت عاصمة مقاطعة منغوليا الداخلية المتمتعة بالحكم الذاتي وذلك برفقة كل من الحاج نعمان ماشيان نائب رئيس الجمعية وسكرتير عام الجمعية الإسلامية الصينية الحاج مصطفى بانغ جي بوه المترجم والموظف في قسم العلاقات الخارجية بالجمعية.



بعض المستقبلين من طلبة العلم أو الخلفاء في خوخاخوت

وبلاد منغوليا شبه صحراوية تقع على طرف صحراء عوبي الشهيرة

شحيحة المطر مناخها قاري لأنها بلاد داخلية وتعرف بمنغوليا الداخلية تمييزاً لها عن منغوليا الخارجية التي تقوم فيها حالياً جمهورية منغوليا الشعبية المستقلة وعاصمتها أولان باتور.

ومنغوليا الداخلية التي أصبحت مقاطعة ذات حكم ذاتي منذ غرة مايو ١٩٧٤م، تبلغ مساحتها ١,٢٠٠,٠٠٠كم٢، وبلغ سكانها ١٩,٢٧٤,٢٧٩ نسمة بموجب إحصاء عام ١٩٨٢م.

منهم ٢,٨٥٠,٠٠٠ مغولياً أي بنسبة ١٩% من إجمالي سكان المقاطعة والباقي من المهجرين الصينيين إليها بعد الثورة الشيوعية فقد بلغ توطين الصينيين في عام ١٩٦٠ بنسبة ١٢إلى واحد ويقدر عدد المغول في الصين كلها بحوالي ٣,٤١١,٣٦٧ نسمة.

ويمارس معظم المغول الرعي ويسكنون البوادي والمراعي بينما الصينيون يقطنون المدن كما هو الحال في العاصمة خوخاخوت حيث يشكل الصينيون ٨٠% من سكانها.

يقدر عدد المسلمين في منغوليا الداخلية ١٧٠ ألف مسلماً ويتمركز أكثرهم في العاصمة ومنطقة كوبار ومن القبائل المغولية المسلمة قبيلة دونغ شيانغ وعددهم ٢٧٩,٥٢٣ مسلماً وقبيلة بوؤان وعددهم ٩,٠١٧ مسلماً وأفراد هاتين القبيلتين المسلمتين يتمركز معظمهم في مقاطعتي كان سو وتشنغ هاي، ولا يعتبرهم التصنيف الصيني مغوليين بسبب إسلامهم وكونهم يقطنون خارج منغوليا هذه.



صورة تذكارية أمام مسجد خوخاخوت

كان المغول بقيادة جنكيز خان قد ظهروا للعالم قوة سياسية وعسكرية مدمرة في أخر القرن السادس الهجري، وتمكن جنكيز خان من فرض سيطرته على تركستان وإيران وشمال الصين ثم قبيل موته قسم ممالكه بين أبنائه الأربعة، كما جعل ابنه أوكتاي ولياً للعهد الذي أصبح خاقانا أي خانا أعظم للمغول خلفاً لوالده جنكيز خان، في ربيع سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م.

وخلال حكم أبناء وأحفاد جنكيز خان نشطت الغزوات المغولية في آسيا حتى تصدى لها المسلمون في موقعة عين جالوت في رمضان ٦٥٨هـ سبتمبر ١٢٦٠م.

وأسس باتو بن جوجي بن جنكيز خان إمبراطورية التون اورده في الأراضي التي يتكون منها الاتحاد السوفيتي اليوم واستمر حكم هذه الدولة التي أعتنق مؤسسها وحكامها الإسلام أكثر من قرنين من ١٢٢٦ إلى

١٤٦٦م، كما أسس قوبيلاي خان بن تولوي بن جنكيز خان أسرة يوان الحاكمة في الصين فيما بين ١٢٧٧- ١٣٦٨م.

وأثناء الحكم المغولي توطد الوجود الإسلامي في الصين بفضل المسلمين الوافدين إليها وتولي بعضهم مناصب قيادية عليا في حكومة المغول في الصين.

وفي العهد المغولي انتشر الإسلام في مقاطعات غرب الصين مثل كان سو وشوان وشنغ هاي ويونّان التي كانت تحت ولاية حكم مسلمين من أمثال الشيخ شمس الدين عمر وأبناء محمود يلواج.

بالإضافة إلى انتشار الإسلام في الصين في العهد المغولي فإن الحضارة الإسلامية أثرت تأثيراً كبيراً في الصينيين وثقافتهم، فقد أوجدت مؤسسات الهيئة الفلكية والمستشفيات والمعاهد العلمية تحت إشراف الأخصائيين المسلمين وإدارتهم علاوة على أن القصر المغولي في بكين وحدائق بحيرة الشمال كانت من تصاميم مهندس مسلم يسمى مختار، وكذلك أسس المغول كليتين إسلاميتين للطب والمعالجة، إحداهما في تادو قرب بكين اليوم والأخرى في شاندو في ولاية جهار اليوم.

وكان للمغول فضل لا ينكر في انتشار وازدهار الإسلام والمسلمين في الصين، لا تزال أثار ذلك ملموسة في الفكر والثقافة الصينية والكيان السكاني.

وحينما زال الحكم المغولي من الصين عام ١٣٦٨م أجبر المسلمون على تغيير مظاهرهم وعاداتهم الاجتماعية المستمدة من الإسلام، و تغيرت أسماؤهم الإسلامية إلى أسماء صينية.

بعد الحكم المغولي في الصين:

زال حكم المغول بقيام أسرة مينغ Ming الصينية في الصين عام ١٣٦٨م وظهرت للمغول دولتان في بلادهم منغوليا و هما دولة المغول الشرقية ودولة المغول الغربية، وعمل الصينيون على تذكية الخلافات بينهما خوفاً من عودة سيطرة المغول على الصين.

ولما تمكن سي وانغ ارابتان ملك دولة المغول الغربية من توحيد كثير من القبائل المغولية تحت رايته بعد وفاة لهابزان خان ملك دولة المغول الشرقية عام ١٧٠٥م، وحظي بتأييد ديني من دلاي لاما ملك التبت الروحي، وصار المغول مرة ثانية قوة تهدد الصين، تقدم الصينيون بجيوشهم للانقضاض عليهم ومنيت دولة المغول الغربية بالهزيمة عام ١٧٥٧م، وسيطر الصينيون على المغول وبلادهم (منغوليا).

وقد ثار المغول ضد السيطرة الصينية مئات المرات خاصة في أوائل القرن العشرين، واستطاع زعماء المغول في منغوليا الخارجية كسب تأييد الروس لاستقلالهم وتم توقيع معاهدة ثلاثية بين الصين وروسيا ومنغوليا الخارجية عام ١٩١٥م تضمنت حق منغوليا الخارجية بحكم ذاتي تحت إشراف الصين، وفي معاهدة يالتا التي تمت بين الرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس السوفيتي ستالين في فبراير ١٩٤٥م تقرر الاعتراف بجمهورية منغوليا الشعبية المستقلة واضطرت الصين للاعتراف بها أيضاً.

وحاول اليابانيون خلال غزوهم لبلاد الصين في الحرب العالمية الثانية إقامة دولة تابعة لهم في منغوليا الداخلية عرفت باسم منغ جيانغ (Meng Chiang) أو بحكومة منغوليا الداخلية الذاتية برئاسة الأمير ته

(Te) ولكن هزيمة اليابان أعادت سيطرة الصين على منغوليا الداخلية، وفشلت محاولة المغول تأسيس حكومة منغوليا الداخلية المستقلة برئاسة الأمير ته (Te) عام ١٩٤٩م.

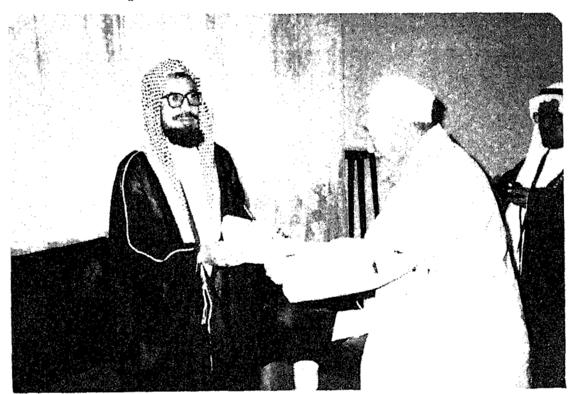
استرجعنا هذه المعلومات التاريخية عن المغول وبلادهم خلال رحلتنا بالطائرة إلى عاصمة بلادهم خوخاخوت وكان في استقبالنا بالمطار جمع من المسلمين يتقدمهم:

- الحاج علي جنغ خه رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة منغوليا الداخلية.
- السيد عيسى ساومنغ لنغ نائب رئيس الجمعية.
- السيد إبراهيم باي فنغ منغ نائب رئيس الجمعية.
- الإمام إبراهيم شن فوشن إمام المسجد الكبير في خوخاخوت.

ثم انتقلنا إلى فندق منغوليا المعد لاقامتنا في خواخوت وبعد الاستراحة فيه انطلقنا إلى مسجد خواخوت الكبير حيث اجتمع آلاف من المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً أمام المسجد للتحية والسلام، وعبرنا بصعوبة بين صفوف المستقبلين إلى فناء المسجد الذي علق على مداخله لوحات الترحيب بالزيارة باللغتين العربية والصينية، وبعد صلاتي الظهر والعصر قصراً وجمعاً في المسجد انتقلنا إلى غرفة الاستقبال الملحقة بالمسجد.

حيث ألقى الحاج علي جنغ ده خه كلمة ترحيب قصيرة أشار فيها إلى العلاقات الوثيقة بين مسلمي الصين والرابطة والشعوب الإسلامية كما أعرب عن تأييد المسلمين الصينيين لحقوق الشعب الفلسطيني ونضال

الشعب الأفغاني وأخبرني في ختام حديثه بأن السيد عيسى ساومنغ لنغ نائب رئيس الجمعية سيلقي كلمة عن أحوال المسلمين في المنطقة.



المؤلف يتقبل هدية رئيس الجمعية الإسلامية
الشيخ علي جنغ في فندق منغوليا في خوخاخوت

تحدث المذكور عن ترحيب وفرحة المسلمين في منغوليا بالزيارة وقال: إنما المؤمنون إخوة من هذا المبدأ القرآني نرحب بكم وبقدومكم من مكة المكرمة، وقال: دخل الإسلام إلى هذه المنطقة منذ ٣٠٠ سنة ويبلغ عدد المسلمين ١٧٠ ألف نسمة ينتشرون في كل أنحاء منغوليا ويبلغ عددهم في العاصمة خوخاخوت ٢٨ ألف نسمة، ومثل هذا العدد يوجد في بودو، وينتمي المسلمون إلى قوميات خوي والإيغور والمغول وأكثرهم من قومية خوي ويوجد ١٣٦ مسجداً في منغوليا ويبلغ عدد الأئمة ٢٦٩ إماماً إلى جانب ١٤٥ طالباً يدرسون العلوم الإسلامية في المساجد، ويقوم

المسلمون بدفع أجور ونفقات هؤلاء الأشخاص، وكذلك تقدم الحكومة المحلية أحياناً المساعدة المالية، فقد قدمت الدولة ٩٠٠ ألف يناً لترميم المساجد ورواتب الأئمة في السنوات الأخيرة بعد الثورة الثقافية.



كبار المسئولين في حكومة منغوليا الداخلية يتقبلون الهدايا من المؤلف

وفي هذه المدينة خواخوت توجد أربعة مساجد مفتوحة، كما لا يزال بها ثلاثة مساجد تحت الترميم، والمسلمون يؤدون فرائضهم الدينية فبعضهم يأتي للمسجد وبعضهم من الشيوخ يصلون في منازلهم وفي شهر رمضان المبارك يقدم المسجد وجبات إفطار للصائمين مجاناً كما تؤدى فيه صلاة التراويح.

وتتحسن في هذه السنوات معيشة المسلمين وأحوالهم فمنهم من يقدم الزكاة عن طريق المساجد، وكذلك يهتم المسلمون بتربية أبنائهم بالعلوم الإسلامية في فصول دراسية بالمساجد.

ويقوم الأئمة بالإضافة إلى إمامة المصلين في الصلاة بتجهيز وتشييع

الجنازة وعقد عقود الأنكحة الشرعية في المساجد بعد التسجيل الرسمي للزواج في مكاتب الدولة.

هذا وقد ألقيت كلمة رداً على الكلمتين ولمناسبة هذا الاجتماع الحاشد تضمن كلامي الشكر على الترحيب وعلى المعلومات التي سمعناها هنا عن أحوال المسلمين وأبلغتهم تحيات وسلام إخوانهم المسلمين في رابطة العالم الإسلامي ورغبتهم في معرفة أحوال المسلمين في هذه البلاد ثم تكلمت عن اهتمام الرابطة بهم وبمساعدتهم وتوثيق العلاقات بهم عن طريق الزيارات والاتصالات بهم واستعدادها لتقديم العون لهم لترميم وبناء مساجدهم إذا جاءت طلباتهم إلى الرابطة بواسطة الجمعية الإسلامية الصينية المركزية، كما أن الرابطة على استعداد لتزويدهم بالكتب الإسلامية وفي النظر على توفير منح دراسية لأبنائهم.

ثم أكثرت من حثهم على تربية وتعليم أبنائهم وأطفالهم أحكام وتعاليم الإسلام حتى يكون في ذلك استمرار لوجودهم الإسلامي الذي بدأه آباؤهم منذ مئات السنين، وانتهيت بالدعاء لهم.

كان المسجد ذا سعة كبيرة وأثار الترميم والإصلاح الحديث ظاهرة للعيان وبعض الشباب المسلم الذين يدرسون العلوم الإسلامية في المسجد بملابسهم المميزة منتشرون ولم نتمكن من دخول فصل دراسي لانتهاء فترة الدراسة ولكن شاهدنا غرف سكناهم وإقامتهم.

وكان الازدحام كبيراً ولم نتمكن من مشاهدة جوانب المسجد ومبانيه بحرية بسبب كثرة المسلمين حولنا وعند خروجنا من المسجد دعانا المسئولون المسلمون إلى غرس شجرة عند مدخل المسجد تذكاراً لزيارة

أول وفد من الأراضي المقدسة لمنغوليا الداخلية، وبعد الانتهاء من ذلك وسط فرحة المسلمين وابتهاجهم عدنا إلى الفندق.

وقد رتبت الجمعية الإسلامية لمقاطعة منغوليا الداخلية جولتنا لمعالم مدينة خوخاخوت، وللريف المغولي خارجها.



عند الدخول إلى الفناء الداخلي لمسجد خوخاخوت

وبعد هذه الجولة عدنا بعد الظهر إلى الفندق وفي المساء جاء لمقابلتنا كل من:

- نائب رئيس المجلس الاستشاري لمقاطعة منغوليا الداخلية.
- ونائب الأمين العام لحكومة منغوليا الداخلية.
- ومدير مصلحة الشئون الدينية لمقاطعة منغوليا الداخلية.
- ونائب محافظ مدينة خوخاخوت.

وقد رحب هؤلاء وهم من القومية المغولية بزيارتنا التي تعتبر أول زيارة وفد من المملكة العربية السعودية لمنغوليا، وأشار نائب رئيس المجلس الاستشاري إلى أن المسلمين يعيشون مع غيرهم من القوميات المختلفة بسلام ووئام ويعملون جمعياً لبناء الوطن والمسلمون ينتشرون في كل أنحاء منغوليا، ويتمركز أكثرهم في مدينة خوخا خوت ويمارسون نشاطاتهم الدينية بحرية، والمقاطعة متخلفة ولكنها بدأت تتطور في السنوات الأخيرة بالتدريج.

فرددت عليه بالشكر على ترحيبه وكلماته وقلت: إن علاقتهم الطيبة مع المسلمين تعتبر علاقات طيبة مع الشعوب المسلمة كلها، وأن مظاهر المسلمين واهتمامهم بمساجدهم يدل على تمتعهم بمعاملة حسنة وأن مدير مصلحة شئون الأديان في بكين اخبرنا أن توثيق العلاقات بين الرابطة والجمعية الإسلامية الصينية فيه توثيق الصلة بين الشعب الصيني والشعوب الإسلامية والعربية.

ثم حدثتهم عن تاريخ المغول وحروبهم في العالم الإسلامي، وقيام الإمبراطورية المغولية في الهند.

وفي نهاية الاجتماع قدمت لكل واحد منهم عباءة عربية هدية تذكارية من الرابطة.

انتهت زيارتنا لمدينة خواخوت عاصمة منغوليا الداخلية فغادرناها صباح يوم الاثنين إلى بكين واسترحنا في فندق بي وي (Bei Wei) إلى الساعة الخامسة عصراً ثم غادرناها إلى مدينةِ شنغهاي في طريقنا لزيارة كون مينغ (Kunming) عاصمة مقاطعة يونّان في جنوب غرب الصين وذلك حسب ترتيب الجمعية الإسلامية الصينية وبسبب عدم وجود خط

طيران مباشر يربط خوخاخوت عاصمة منغوليا الداخلية في شمال الصين مع (كون مينغ) عاصمة يونّان في جنوب غرب الصين، وذلك لاتساع مساحة الصين وقلة الطائرات في بلد يبلغ سكانه أكثر من ألف مليون نسمة.

المؤسسات الإسلامية بمنغوليا الداخلية:

١- المركز الإسلامي بمنغوليا الداخلية (المقر: المسجد الصغير بمدينة خوخاخوت).

- رئيس المركز: الإمام الشيخ/ نور محمد ليوتشنغ.
- نائب الرئيس لشئون التعليم والإرشاد والدعوة: الأستاذ الشيخ/ محمد شعيب، خوانغ وان جيونغ.
- نائب الرئيس لشؤون الإدارة/ عمر شيا تشونغ تشيوان.
- أمين السكرتير العام: الحاج: محمد صالح، كانغ مينغ جيه.

أعضاء اللجنة الدائمة:

- الإمام/ نور محمد، ليوتشنغ.
- الشيخ/ محمد شعيب، خوانغ وان جيونغ.
- الأستاذ/ مصطفى تي.
- السيد/ عمر شيا تشونغ تشيوان.
- الحاج/ محمد صالح، كانغ مينغ جيه.
- الحاج/ أحمد، لي.
- السيد/ مسعود، شون شانغ يوان.

فروع المركز:

- قسم شؤون التعليم.

- قسم شؤون الدعوة.
- قسم شؤون الداخلية.
- قسم شؤون الخارجية.
- قسم شؤون المالية.
- قسم التأليف والطباعة والنشر.
- المكتبة.

٢- مركز التبادل الثقافي والاقتصادي والتجاري للمسلمين بمنغوليا الداخلية:

- رئيس مجلس الإدارة: محمد صالح، كانغ مينغ جيه.
- المدير العام: عمر شيا تشونغ تيوان.

٣- المعهد الإسلامي بمدينة (خوخاخوت).

- المدير: الشيخ/ محمد شعيب، خوانغ وان جيونغ.

٤- المدرسة الإسلامية للبنات بمدينة خوخاخوت.

- المديرة: السيدة/ كاو سيو شنغ.

٥- مدرسة الزهرات الإسلامية الخاصة للمسلمات بمحافظة خاكو.

- المدير/ علي سيف الدين، تشاو داسين.

٦- المدرسة الثانوية لأبناء المسلمين بمدينة خوخاخوت.

- المدير: إسحاق، خو قوانغ يوي.
- مدير قسم اللغة العربية: الإمام/ نور محمد، ليو تشنغ.

٧- مكتب معرفة الزواج الخاص للمسلمين بمدينة خوخاخوت.

- المدير: يوسف، دينغ ياو.

سلسلة التسجيلات للمعارف الإسلامية التي نشرت باللغة الصينية في الصين الشعبية:

- مبادئ العلم الأساسية للاعتقاد الإسلامي.
- حكم نكاح المسلمين الصينيين.
- موضوع الصيام الخصوصي.
- السؤال والجواب في معرفة الصلاة.
- هداية الإسلام للإنسان.
- مبدأ مرشد على سلوك المسلمين.
- الترجمة المختارة وتفسيرها المفصَّل في تلاوة القرآن الكريم:
- حكم الجنازة وآدابها للمسلمين.
- المعرفة اللازمة لمناسك الحج.
- منزلة النساء في الإسلام.
- اتبعني في تعلم الصلاة.
- اتبعني في تلاوة القرآن الكريم.
- اتبعني في قراءة الأدعية.
- موضوع الزكاة الشرعية.



وفد الرابطة في فناء مسجد خوخاخوت

رسائل من الإخوة المسلمين في منغوليا الداخلية:

تلقينا رسائل عديدة بعد عودتنا إلى بلادنا من الإخوة المسلمين المنغوليين تعلق على زيارتنا لمقاطعتهم وتظهر امتنانهم لها وهي باللغة الصينية.

وهذه صورها مع ترجمتها:

世界伊斯兰联盟付秘书长 阿布杜 [illegible] 同 [illegible] 二位贵宾从圣地麦加而来，在全国伊协负责人陪同下来我区呼和浩特市 [illegible] 参观访问，穆斯林大众感到万分高兴和无比荣幸

来自圣地麦加的伊斯兰教代表团来访 这充分说明了世界伊斯兰联盟组织对中国穆斯林的关怀和重视。我代表我区十七万穆斯林表示热烈欢迎和感谢。

我们相信 在访问当中 在增进相互了解，加强友好合作关系上一定能够起到重大作用。

相互了解、团结友爱是伊斯兰教的优良传统是真主的命令，是穆圣的指示，是全世界穆斯林的方向。

正如真主说： واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

"你们共同揪着真主绳索不可分散——" آل عمران ٣章 ١٠٣节。

真主还说： يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير

"众人啊！我确从一男一女创造你们，我使你们成为许多民族和宗族，以便你们互相认识。在真主看来你们中最尊贵者是你们中最敬畏者。真主确是全知的，确是彻知的。

٤٩章 [illegible] ١٣节。

نائب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الشيخ محمد بن ناصر العبودي والأستاذ رحمة الله

خرجتم من البلد المقدس مكة المكرمة لزيارة الصين بمرافقة المسئول عن الجمعية الإسلامية الصينية وزرتم مدينة (خوخوختي) وقد سررنا كثيراً بهذه الزيارة الكريمة.

قام وفد رابطة العالم الإسلامي بهذه الزيارة الهامة للاطلاع على أحوال المسلمين هنا/ وبالعناية عن مائة وسبعين ألف مسلم في مدينتنا يقدمون لكم الشكر الجزيل على ذلك، ونتيجة لهذه الزيارة لقد زاد التعاون والتفاهم فيما بيننا، ونتيجة لذلك فقد تحققت المصلحة الطيبة للجميع، وهذا ما دعا إليه ديننا الحنيف لقوله تعالى: **(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)** وقال تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)**.

كلمة الرابطة

穆圣的指示：

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه"

"穆民与穆民的关系就如建筑一样，一部紧靠一部"，穆圣说明用手交叉以此示意。

我们还相信伊斯兰世界联盟代表团来访有利于维护世界和平，反对霸权主义，这就是伊斯兰教积极和平观点，也是穆斯林神圣职责，也是中国伊斯兰教协会宗旨之一。

因此，中国穆斯林在我国独立自主的和平外交政策指导下，同我国各族人民一道一贯支持阿拉伯、伊斯兰国家和巴勒斯坦人民的正义事业，支持阿富汗等国穆斯林反对外来侵略、争取民族独立、维护国家主权的正义斗争。

这一次尊贵的代表团来访，我们接待不够周到，希贵宾原谅，我们祝你们健康，希望在适当时间再次来访。 إن شاء الله تعالى

حديث نبوي:

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً وشبّك بين أصابعه).

لقد قامت رابطة العالم الإسلامي بهذه الزيارة التي كان لها الأثر الطيب في نفوسنا حيث إن الإسلام يريد السلام العالمي ويُزيحُ عنا الطاغوت الذي قيدّ حريتنا، وهذا الأساس الذي بُني عليه الإسلام، وهذا التعاون الذي يدعو إليه المسلمون في الجمعية الإسلامية في الصين وفي جميع أنحاء العالم، إن المسلمين في الصين يريدون السلام وهي السياسة التي نسير عليها وهدفنا واحد مع الشعب العربي في نيل استقلاله وخاصة في فلسطين، وتقديم المساعدة لهم في نيل استقلالهم.

وكذلك الوقوف مع الشعب الأفغاني في رد القوات الأجنبية عن أفغانستان.

وفي الحقيقة أنّنا لم نقم بالواجب المطلوب تجاه ضيفنا الكبير، ولكننا ندعو الله أن يمنّ عليكم بالعافية وتكرّرون مثل هذه الزيارة إن شاء الله.

的一部分，因为圣训有这样的话：“……谁信仰真主与末日了，那让他尊敬客人吧。”

* * *

下边我向伊盟代表团的贵宾简要地介绍一下我们内蒙十七万穆斯林的宗教生活概况。

* * *

(一) 内蒙穆斯林的基本概况，

伊斯兰教传入内蒙的年代，正在考究中，根据目前的史料来看，大约三百多年的历史。

* * *

全区有十七万穆斯林，分布在全区 盟 市和广阔的农村，大城市主要集中在呼、包二市，分别有二万八千人，中等的地区有几千人，最少的是几十家人，多在偏僻的农村。中国穆斯林大分散，小集

日常宗教生活，全区共有269人。

＊ ＊ ＊

接班人（指伊斯兰教伊玛目的接班人），我们这里地方习惯称为"哈里凡"，共有95人。加50人 计145人

＊ ＊ ＊

清真寺内的日常生活费用，富裕的地方，穆斯林捐助的"乜帖"多一点，政府、伊协少帮助一点。贫困的地方，政府多帮助一点。

＊ ＊ ＊

近10年以来，即在"文革"后，政府给全内蒙伊斯兰事业费的补助方面，拨的款数大约有90多万元。

＊ ＊ ＊

这些款多用于兴建修善、美化清真寺，解决礼拜者的用水，购坟地，补贴伊玛目的生活等等。

以上为内蒙总的情况。

二）呼市穆斯林的概况。

我们这个市叫呼和浩特市，是内蒙穆斯林较集中的城市之一。

全市共有2、8万人，大部分都住在这个"哈伊"一（地区），所以又称为回民区，区政府、领导人大部分是回民，穆斯林。

市内有清真寺八座，（其中有四座清真寺在郊区），由于穆斯林的增多，市内规划，部分穆斯林的搬迁还有"文革"的原因，准备再开三座（有一座正在施工中）。

学习、教义学习多在各清真寺内，有老、中、青学习班，社会上的青年穆斯林工人、干部、学生均在北京外语学院阿语函授辅导站学习阿拉伯语。有40名学生，都是穆斯林。

* * *

婚丧问题：

有了"奥义特"后，都抬在寺内，应行宗教仪式，站"者拿则"。

婚事：除了在政府办行登记手续外，还请伊教伊玛目办行宗教仪式。

* * *

主要情况介绍完了，如总来说，我们这个地区的教门很好！主要特点：

① 礼拜的人多

② 学习教门的人多，特别是妇女，每个寺都设有女寺、女浴室。

* * *

最后请阿卜迪先生和拉哈麦图拉先生阁下，给予指正，"哈拉斯"。

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي والأخ رحمة الله ونائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أنا منغولي/ بالنيابة عن أهالي بلدة/ خوسي لاجي الإسلامية التي يسكنها حوالي (١٧٠) ألف مسلم، حضرت صلاة جماعة لتقديم الضيفيين الكريمين الكبيرين، وقد حصلت لنا فرحة كبيرة لمشاهدة الإخوان، وقدورد في القرآن الكريم فيما معناه، أن المسلمين إخوة، وقد شاهدنا أخوة من بيت الله المقدس مكة المكرمة، وكانت لنا أول فرصة ولأول مرة نرى أخوة لنا من مكة المقدسة، وهذه أمنية كنّا نتمناها دائماً، وهي الاجتماع بإخوة أمثالكم، وجميع المسلمين هنا يقولون إن هذه بركة حصلت لنا بالاجتماع بكم ورؤيتكم.

وعملاً بالحديث الشريف: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وأن ما قدّمناه لكم فهي الطبيعة الدينية في نفوس مائة وسبعين ألف مسلم هنا.

لم يعرف أحد بالضبط متى دخل الإسلام في منغوليا ولكن الآن يجري البحث في ذلك، ويقول بعض المؤرخين إن هذا حدث قبل ثلاثمائة سنة، وأن هذا العدد من المسلمين البالغ مائة وسبعين ألفاً يعيشون في أماكن مختلفة من بلادنا، وأكثر المسلمين يسكنون في مدينتين كبيرتين هما خوسي، وبوسي حيث يوجد بهما أكثر من (٢٨) ألف مسلم وبعض المدن المتوسطة يوجد بها حوالي تسعة آلاف مسلم، أما القرى الصغيرة فيوجد في كل منها حوالي ٩٠ مسلماً، ومع أننا موزعون في أماكن ومدن بعيدة ولكننا نجتمع جميعاً في المناسبات في مكان واحد، نحن مسلمون هنا، وهناك ديانات غير إسلامية منغولية ولكن بأعداد قليلة.

سبب اجتماع المسلمين هنا هي وجود المساجد التي تؤدَّى فيها الصلاة حيث إنه في أي بلد فيها مسلمون يوجد فيها مساجد، وهنا يوجد مسجد كبير هو (لي مي أي) وهنا مسجد صغير هو لِنْ سي كوفا وفي بلدنا يوجد ١٣٦ مسجد وبسبب الثورة الثقافية لم يبق منها سوى ٨٦ مسجد.

وعدد المسئولين عن المساجد من أئمة وخلفاء لهم حوالي ٢٦٩ شخص ومن عادة بلدنا أنه يوجد خليفة للإمام وعددهم ٩٥ خليفة وهناك ٥٠ شخصاً احتياطياً فيكون مجموع الخلفاء ١٤٥.

الحج:

لقد حضر خمسة من كبار العلماء مع بعثة الحج الصينية لأداء فريضة الحج بالإضافة إلى شخصين أديا الحج على نفقتهما الخاصة.

الزكاة:

نظراً لتحسين الأوضاع والحرية التي أتيحت لنا مؤخراً من قبل الحكومة في التجارة وغيرها فقد أصبح هناك تجار يخرجون الزكاة، وهذه الزكاة تصرف على المساجد والأئمة والخلفاء وكذلك مكافآت لطلاب العلم.

التعليم:

يقوم طلاب العلم بتلقي التعليم وعلى مختلف أعمارهم من شيوخ وكهول وشبان وصبية، وأكثر أماكن التعليم هي المساجد، وأكثر الانتساب في معهد تعليم اللغة العربية في بكين حيث يوجد أكثر من ٤٠ طالب من المسلمين.

الزواج وعقود الأنكحة:

بعد أن تجرى الإجراءات الحكومية يأتي الإمام ويعقد عقد النكاح في المسجد.

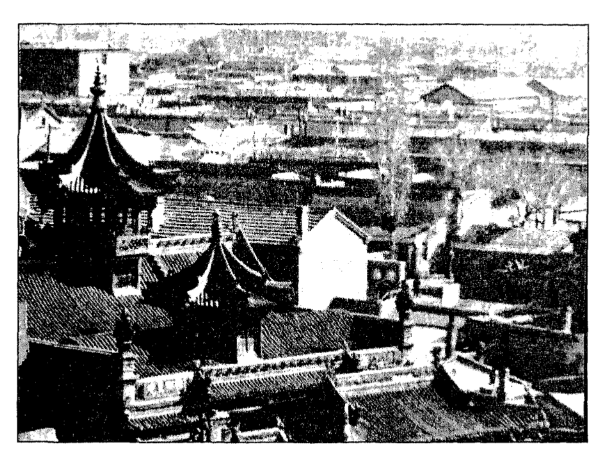
الحمد لله لقد قدّمت جميع حالاتنا الاجتماعية وأهم شيء وهذا الأساس هو أن كثير من الناس يؤدون الصلاة بعد تعلمهم الإسلام وخاصة النساء حيث يوجد أماكن مخصصة لهن في المساجد وفي أماكن الوضوء.

مع التحية لفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي والأستاذ رحمة الله.

ونرجو إذا كان هناك أي خطأ تقديم النصح والإرشاد.

منغوليا الداخلية:

بني جامع هوهيهوت لمنطقة منغوليا الداخلية ذات الحكم الذاتي في السنة الثالثة والثلاثين لحكم الإمبراطور كانغ شي من أسرة تشينغ (١٦٤٤- ١٩١١م)، وتصادف هذه السنة عام ١٦٩٣ الميلادي، ويعود تاريخه إلى حوالي ٣٠٠ سنة، وهذه الصورة لمنظره العام:



إلى أسفل اليسار: برج محراب الجامع في مدينة خوخاخوت



معالم خارجية لقاعة جامع (خوخاخوت)



إلى اليسار: زخارف على سقف جامع مدينة خوخاخوت

وجهة نظر الحكومة الصينية عن الوضع في منغوليا الداخلية:

الحكومة الصينية كسائر الحكومات الشيوعية لا تلقي اعتباراً رسمياً للحديث عن الأديان ولكنها تذكر القوميات للجماعات في الصين.

وقد كتبت مجلة (بناء الصين) وهي مجلة حكومية باللغة العربية مقالة مهمة عن الأوضاع في منغوليا الداخلية من وجهة النظر القومية للحكومة الصينية رأيت نقلها هنا استكمالاً للموضوع قالت المجلة:

الحكم الإقليمي القومي في منطقة منغوليا الداخلية:

منغوليا الداخلية التي يستوطن فهيا أبناء قومية منغوليا هي أول منطقة ذاتية الحكم للأقليات القومية في الصين، تأسست في سنة ١٩٤٧م، وتظهرالتغيرات العميقة التي طرأت عليها طوال ٤٠ سنة مدى قوة العلاقة بصورة حية في المساواة والوحدة والعون المتبادل بين القوميات في الصين المتعددة القوميات، يصادف أول مايو السنة الجارية الذكرى الأربعين لتأسيس منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم، عشية هذه المناسبة استقبل السيد يوخه رئيس المنطقة دنغ شو لين مراسل مجلة (بناء الصين) ولد السيد يوخه عام ١٩٢٦م، في راية تومته الشمالية بمنغوليا الداخلية، وقد انطلق مع ٢٠ شاباً منغولياً إلى يانأن (كعبة) الثورة الصينية وكان عمره آنذاك ١٣ سنة، ومن هنا بدأ حياته كثوري، تولى منصب نائب رئيس لجنة الدولة للشؤون القومية، ثم عاد إلى منغوليا الداخلية وتولى منصب رئيسها، و فيما يلي ما قدمه للمراسل عن تطبيق سياسة الحكم الإقليمي القومي.

سؤال: هل تتفضلون بإعطائنا لمحة عن التطور الذي أصاب منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم منذ تأسيسها وما هو المستقبل الذي ينتظرها؟

جواب: منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم تأسست في أول مايو ١٩٤٧م، عمرها اليوم ٤٠ سنة، يمكننا أن نلخص تطورها في الأربعين سنة هذه كما يلي:

حققت منغوليا الداخلية نجاحات مرضية في بناء الاقتصاد، وطرأت عليها تغيرات مذهلة حيث تشكلت شبكة صناعية كاملة وشاملة نوعاً ما، وشهد الإنتاج الزراعي والرعوي تحسناً كبيراً وازداد حجم النقل والمواصلات، والبرق والبريد والاتصالات ازدياداً عظيماً.

فأصبحت المنطقة إحدى القواعد الهامة لإنتاج معادن التربة النادرة والحديد والصلب والطاقة والرعي والنسيج والغزل الصوفي والجلود والفرو والألبان والغابات والحبوب الغذائية والشمندر، ولكن القوة الكامنة لم تكتشف بصورة مستفيضة بسبب عدم كفاية الرأسمال وقلة المعلومات، ولذلك بدأنا في أعمال التحسين.

تمسك منغوليا الداخلية بسياسة الانفتاح على العالم والإصلاح، فأقامت علاقات التعامل التجاري والتعاون التكنولوجي والاقتصادي مع أكثر من ٦٠ بلداً ومنطقة وبلغ عدد المشروعات التي تم الاتفاق عليها ٩٢ إضافة إلى العشرات من المشروعات قيد البحث والمناقشة، كما تم الاتفاق على ٩٠٠ مشروع بينها والمقاطعات والبلديات والمناطق الأخرى داخل الصين.

ولمنغوليا الداخلية الوفيرة الموارد آفاق بعيدة للتعاون بينها والدول الأخرى، فنرحب برجال الأعمال الأجانب ومواطني تايوان وهونغ كونغ وماكاو أن يأتوا إلى منطقتنا كسواح أو لإنشاء أعمال متنوعة بأشكال مختلفة، ونحن سنهيئ لهم الظروف الاستثمارية الملائمة والأفضليات.

سؤال: للتطورات التي حققتها منغوليا الداخلية في الأربعين سنة الماضية علاقة وثيقة مع الحكم الإقليمي القومي، فلو سمحتم حدثونا عن الحكم الإقليمي القومي؟

جواب: هذه مسألة كبيرة، أرغب أن أبدأها بكلام شو أن لاي رئيس مجلس الدولة الراحل قبل ٣٠ سنة إذ قال: تطبيق الحكم الإقليمي القومي سياسة جذرية طبقناها في المسائل القومية بعد تحرير الصين، لقد نص عليها دستور بلادنا.

الصين دولة موحدة ومتعددة القوميات وقد كنست سلطة الشعب سياسة الاضطهاد والاستغلال القومي في المجتمع البائد، وتطبق اليوم السياسة الجديدة المتمثلة في المساواة والعون المتبادل بين القوميات، فالحكم الإقليمي القومي تجسيد ملموس لهذه السياسة كما نص عليه الدستور:

(تحمي الدولة الحقوق والمصالح المشروعة للقوميات الأقلية، وتصون علاقة المساواة والوحدة والعون المتبادل بين مختلف القوميات وتطورها).

و(يطبق الحكم الذاتي الإقليمي في الأقاليم التي تتمركز فيها القوميات الأقلية حيث نشأ أجهزة الحكم الذاتي لممارسة سلطة الحكم الذاتي، وكل أقاليم الحكم الذاتي القومي جزء لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية).

قوام الأقليات القومية في منطقة منغوليا الداخلية هي قومية منغوليا، ولكن ليس كل أبناء هذه القومية يقيمون فيها، إذ توجد ولايات ومحافظات ذاتية الحكم لقومية منغوليا في مقاطعات ومناطق أخرى.

إن الحكم الإقليمي القومي هو الاندماج الصحيح بين الحكم الذاتي القومي والحكم الذاتي الإقليمي والعوامل الاقتصادية والسياسية لا يمنح

القوميـة المسـتوطنة فـي إقليـم مـا حقـوق الحكـم الـذاتي فحـسب، بـل يمـنح القوميات المنتشرة فيه حقوق الحكم الذاتي أيضاً، إن القوميـة الكبيـر تعـداد سكانها والقومية القليل تعداد سكانها، والقوميـة المـستوطنة فـي إقليم بأعداد كبيرة أو بأعداد قليلة، كلها يمكن أن تكون وحدة ذاتيـة الحكم تتمتـع بحقـوق الحكم الذاتي القومي بصورة مستفيضة.

سؤال: كيف هو حال الحكم الإقليمي في منطقة منغوليا الداخلية؟

جواب: أولاً: أثبتت ممارسة منطقتنا في الأربعين سنة الماضية أنـه يجـب أن تنطلق السياسات حول الشؤون القومية في منغوليا الداخلية من الخـصائص القوميـة التاريخيـة والواقعيـة والخـصائص الإقليميـة وواقـع أفكـار جمـاهير القوميـات فـي منطقتنا وأسلوب نقل التجارب الجاهزة من المناطق الأخرى خطأ.

مثلاً: فـي بدايـة الثـورة الديمقراطيـة، نقلنـا وسـائل وتوزيـع الأراضـي بمـساواة والإصـلاح الزراعـي فـي المنـاطق الزراعيـة إلـى بعـض المنـاطق الرعويـة، وأجرينـا تحديـد الطبقـات والنـضال ضـد مـلاك المـروج وتوزيـع المواشي حتى قمنا بالإصلاح الديمقراطي في المناطق الرعوية بشعار لكل حارث الأرض ولكل راع المواشي، مما سبب خسارة جسيمة فـي المواشـي وموت عدد كبير منها وأفسد الإنتـاج الرعـوي، ولكننـا عدنـا إلـى الـصواب أخيــراً بينمــا أبطلنــا النظــام الإقطــاعي والحقــوق الأفــضلية للأمــراء والارستقراطيين انطلاقاً مـن خـصائص المنـاطق الرعويـة وطبقنـا سياسـة المنفعـة المتبادلـة بـين الرعـاة ومـلاك المـروج، ومـساعدة الرعـاة الفقـراء، الأمر الذي كفل بتطور الإنتاج الرعوي المستقر.

ثانياً: يرمز تأسيس منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم عـام ١٩٤٧م

إلى تغير جذري طرأ على العلاقة القومية في الصين.

بعد أن دخلت الصين المرحلة الاشتراكية في الخمسينات تحولت مهمة الشؤون القومية الأساسية إلى تطوير الاقتصاد والثقافة، كما تقاربت القوميات من حيث المستوى الاقتصادي والثقافي وازدادت العوامل المشتركة بينها وتعززت علاقة المساواة والوحدة والوئام في هذه الأسرة الكبيرة.

ثالثاً: أرى حسب تجاربي الماضية أنه من المستحيل ألا يحدث تناقض بين القوميات، والمهم أن يحل التناقض والنزاع بينها بالتشاور وبصورة مرضية في حينه، إذا اتخذنا هذا الأسلوب حققنا هدف تعزيز الوحدة القومية.

سؤال: ما هي حقوق الحكم الذاتي التي تتمتع بها منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم منذ تأسيسها؟

جواب: إن قوام الأقليات القومية في منطقتنا هي قومية منغوليا، حسب ما نص في الدستور وقانون الحكم الإقليمي القومي في جمهورية الصين الشعبية، يمكنها أن تمارس حقوقها الذاتية على ضوء قيادة الدولة الموحدة، ونحن نتمتع بالحق في أن نطبق قوانين الدولة وسياساتها وفقاً لأحوال المنطقة الواقعية، ولنا الحق في أن نحدد لوائح الحكم الذاتي واللوائح الخاصة حسب خصائص السياسة والاقتصاد والثقافة القومية المحلية، وإذا لم تتفق قرارات القيادة العليا وأوامرها وتعليماتها مع أحوال المنطقة.

إنتهى ما ذكرته مجلة (بناء الصين) التي تصدر بالعربية في مدينة بكين.

وبذلك انتهى الكتاب

الفهرس

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.
٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.
٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٨- في أحناء إندونيسيا.
٢٩- في شمال شرق آسيا.
٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٢- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٣٥- رحلة الجنوب.
٣٦- شمال البرازيل.
٣٧- وسط البرازيل.
٣٨- فنزويلا وترينداد.
٣٩- رحلات فنزويلية.

رحلات في أمريكا الشمالية

٤٠- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.
٤١- تلبية النداء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيك وبريادوس.
٤٤- دومنيكا وقواديلوب وأنتيقوا.
٤٥- بور توريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.
٤٨- في جنوب أستراليا.
٤٩- في شرق أستراليا.
٥٠- في غرب أستراليا.
٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٥٢- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٤- السفر والأوبة من كوبة.
٥٥- التشريق ب[illegible] بحر الكاريب.

الرحلا[illegible]

٥٦- جمهورية ال[illegible]
٥٧- إلى الشرق [illegible]
٥٨- مقال في ال[illegible] الأورال.

الرحلات [illegible]

٥٩- غرب سيبريا.
٦٠- شرق سيبريا.

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك: ٢-٤٥٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨